بحث مستل من:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

للبنين بأسوان

علمية - مُحكمة - نصف سنوية

◆ العدد الرابع

ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - يونيو ٢٠٢١ م

الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي
عرض ومناقشة

إعداد

د. ياسر على خالد فراج

كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – قسم العقيدة والفلسفة

الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي " عرض ومناقشة "

ياسر علي خالد فراج

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية جامعة الأزهر، أسيوط، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Yasserfarag4819@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

بدا واضحا للمطالع للتعاليم اليهودية كيف أن مفهوم الخصوصية والتفرد قد تسلط على هؤلاء حتى أصبح الاستعلاء العنصري والتعصب سمتهم البارزة على مر العصور والأزمنة، فقد أثرت الأفكار والتعاليم اليهودية تأثيراً بالغاً في نفوس معتنقيها فرسخت فيهم النزعات الاستعلائية فكان التعامل مع الآخر وفق هذا بحيث جعل الأمر أشبه بالشريعة التي يلتزم بها الصغير، والكبير فسرت هذه النزعات في دمائهم وعبر عروقهم حتى جاوزوا بها حدود العقل والمنطق، فسجل التاريخ كثيراً مما عانته شعوب الأرض وتعانيه من الإقصاء، والتسلط، والعنف، لأجل تحقيق الأهداف التي لا تتوقف، والأطماع التي لا تنتهي..

الكلمات المفتاحية: الاستعلاء، العنصري، الفكر، اليهودي

Racial Supremacy in Jewish Thought "Presentation and Discussion"

Yasser Ali Khaled Farrag.

Department of Aqeedah and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Call, Al-Azhar University, Asyut, Egypt.

Email: Yasserfarag4819@azhar.edu.eg

Abstract:

It became clear to the readers of the Jewish teachings how the concept of privacy and exclusivity had dominated them, so that racial arrogance and intolerance got their prominent feature throughout the ages and times. The ideas and teachings of Judaism greatly influenced the souls of their adherents, and the superior tendencies instilled in them. This made the matter more like the law that the young and the old adhered to. It explained these tendencies in their blood and across their veins, until they exceeded the limits of reason and logic, so history recorded much of what the peoples of the earth have suffered and suffer from exclusion, domination, and violence, in order to achieve goals that do not stop, and ambitions that do not Expires.

Keywords: Arrogance, Racism, Jewish thought

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ورحمته للعاملين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وارض اللهم عمن سار على نهجهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين... ثم أما بعد:

فمما لا شك فيه أن النفسية اليهودية تشكلت وفق عقائد وتعاليم كان لها أثرها الواضح في صياغة كثير من الأفكار التي خالف فيها اليهود وصايا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والأنبياء من بعده حيث أثرت فيهم تأثيرًا مباشرًا، فرسخت هذه التعاليم والأفكار النزعة الاستعلائية على الغير نتيجة لذلك الشعور بالعجز والضيعة والذلة التي لازمت هؤلاء ولحقتهم في حقب وأزمنة متعددة من خلال معايشتهم لآلام التفرق والشتات حيث بلورت آليات دفاعهم عن النفس عقدة التعالي كرد فعل على ذلك حتى تجاوزوا بها حدود العقل والمنطق فادعوا التفوق والتميز والاستعلاء على جميع الأمم معتقدين أنهم شعب الله المختار، وأنه - تعالى - فضلهم واختارهم على العالمين في تناس وتجاهل بأن هذا التفضيل وذلك الاختيار ما كان إلا لسمو الرسالة والأمانة التي أمر هؤلاء بحملها والمحافظة عليها ونتيجة لفشلهم في ذلك سحب هذا الاختيار والتفضيل منهم، ومن ثم عانت البشرية على مرِّ تاريخها الطويل ما عانت من ظلم، وعنف، وقتل، وإبادة، وضياع للحقوق وسلب للأموال والممتلكات فحفل التاريخ وسجل الكثير من الأمثلة الدالة على ما عانته

شعوب الأرض وتعانيه في ظل اعتقادهم بأن ما في الأرض من بشر وأموال وممتلكات يعَّدُ حقًا شرعيًا، وملكًا أبديًا لابد من السيطرة عليه، فتعاملوا مع الآخرين تعاليًا، وحسدًا، وبغضًا وكرهًا وحقدًا وشرًا بعد أن أوهموا الكثيرين أنهم ظلموا عبر التاريخ وأنهم أصحاب حق، وأنهم إنسانيون في تعاملاتهم وعلاقاتهم الإنسانية، ناسين أو متناسين ما وصفهم به أحد أنبيائهم من قوله: «خيوطهم لا تصير ثوبًا، ولا يكتسون بأعمالهم، أعمالهم إثم، وفعل الظلم في أيديهم، أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الذكي، أفكارهم أفكار إثم في طرقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه، وليس في مسالكهم عدل. جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلامًا »[1].

ومن ثم فقد وقع اختياري لهذا الموضوع لأتكلم فيه عن الاستعلاء العنصري وجعلته بعنوان « الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي عرض ومناقشة ».

أما عن أسباب اختياره:

فقد تمثلت أهم الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع فيما يلى:

أولاً: تسليط الضوء على أهم المسببات التي أدت باليهود إلى الشعور بالاستعلاء تجاه الآخرين.

ثانيًا: بيان المرتكزات أو الأسس التي ينطلق من خلالها اليهود لهذه

(١) سفر اشعيا ٥٩/ ٦ - ٨.

التوجهات العنصرية.

ثالثًا: إظهار ما تعانيه النفسية اليهودية من مشاكل كان لها الأثر الواضح في نزوع هؤلاء إلى الاستعلاء والسيطرة وسياسة فرض الأمر الواقع في التعامل مع الآخر.

تساؤلات البحث:

من بين أبرز التساؤلات التي يحاول البحث الإجابة عنها:

- ما المقصود بالعنصرية اليهودية وكيف نشأت ؟
- ما أهم المسببات التي حدت باليهود إلى الاستعلاء العنصري ؟
- ما الأسس التي يعتمد عليها الفكر اليهودي في إذكاء هذه النزعة وتعميقها في النفوس؟
- ما الميزان الذي يزن به الإسلام الأفضلية بين الناس؟
- هل الاستعلاء العنصري يتفق مع مقصود الشرع الحنيف أم أن الأمر بخلاف ذلك؟

منهج البحث:

من بين المناهج التي اعتمدت عليها في البحث والدراسة:

المنهج التحليلي: وذلك من خلال التعرض للنصوص التوراتية والتعاليم التلمودية والوقوف على ما فيها من نزعات استعلائية، وكيف أثرت على واقع هؤلاء وعلاقتهم بالآخرين ؟

المنهج النقدي: من خلال مناقشة أهم الأفكار التي اعتمد عليها هؤلاء في تزكية هذه النزعات، وبيان زيفها والموقف منها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة تتبعها فهارس.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وتساؤلات البحث ومنهج الباحث.

أما التمهيد: ففي تحديد مفهوم العنصرية والعنصرية اليهودية ونشأتها.

أما الفصل الأول: فقد جاء بعنوان: مسببات الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي، وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المسببات الفكرية.

المبحث الثاني: المسببات النفسية.

أما الفصل الثاني: فقد جاء بعنوان: الاستعلاء العنصري في التعاليم اليهودية، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستعلاء العنصري في العهد القديم.

المبحث الثاني: الاستعلاء العنصري في التلمود.

المبحث الثالث: الاستعلاء العنصري في ميزان الإسلام.

أما الخاتمة: ففيها ذكرٌ لأهم النتائج.

والله وليَّ التوفيق وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد
في مفهوم العنصرية اليهودية ونشأتها

أولاً: المدلول اللغوي:

المتتبع للمدلول اللغوي لهذه الكلمة يجد أن هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة حيث لم يرد بهذه الصيغة في المعاجم اللغوية القديمة، وإنما الذي ورد كما في إشارة د/ أحمد بن عبد الله الزغيبي هو: « ما ينتسب إليه هذا المصطلح وهو كلمة « العنصر» بفتح الصاد وهو الأفصح، وبضمها وهو الأشهر، وعلى هذا الشكل الأشهر تجري نسبة مصطلح العنصرية ليس غيره»[1].

فالعنصر بفتح الصاد وضمها - كما في المعاجم اللغوية - يشير إلى الأصل وما في معناه من الجنس والنسب والحسب يقال: فلان كريم العنصر، أي كريم الحسب، والعنصر الجنس يقال: فلان من العنصر الآري أو السامي.

والعنصر في الكيمياء مادة أولية لا يمكن تحليلها كيماويًا إلى ما هو أبسط منها.

والعنصر المادة التي تدخل في تكوين جسم ما كالهيدروجين والأكسجين في تكوين الماء جمعها عناصر، والعناصر عند القدماء أربعة:

---

(١) العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي د/ أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي ٥٨/١، مطبعة العبيكان، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

وهي النار، والهواء، والماء، والتراب[1].

وفي ضوء هذا المدلول اللغوي سيتضح ما يأتي لاحقًا.

ثانيًا: المدلول الاصطلاحي:

من بين التعريفات التي تأتي متوافقة مع ذلكم المدلول اللغوي السابق لهذه الكلمة والتي تحمل معنى الاعتداد سواء من قبل المرء أو الجماعة

(١) انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار- تحقيق مجمع اللغة العربية باب العين ٦٣١/٣ دار الدعوة، المعجم الوجيز: إعداد مجمع اللغة العربية ص ٤٣٧ ط المركز العربي للثقافة والعلوم والطباعة والنشر والتوزيع بدون - لبنان. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد ابن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق/ مجموعة من المحققين ١٥٢/١٣ دار الهداية. لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ٦١١/٤ ط الأولى دار صادر بيروت، النهاية في غريب الحديث والأثر: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق/ طاهر الزاوي، محمود محمد الطناحي ٥٨٧/٣ المكتبة العلمية بيروت - لبنان، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق / إبراهيم الإبياري ص ٢٠٤ دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ط الأولى ١٤٠٥هـ. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (فصل العين) ص ٥٧٣.، المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي ٤٤٣/٢ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ٢٠٠٠م.، المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال ٤٠٩/٤، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / أحمد بن علي المقرئ الفيومي ٤١٣/٢ المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

بأصلهم أو بحسبهم الذي ينتمون إليه، ويتعصبون له ويعلون من شأنه، أو من شأن أنفسهم اعتمادًا عليه واستنادًا إليه يأتي التعريف الذي يشير إلى العنصرية بأنها: « أيدلوجية تستند إلى أسطورة مناقضة للعلم حول تفوق أو نقص هذه الأجناس أو تلك محاولة بذلك تبرير أو إثبات سياسة الحقد العدوانية ضد الكائن البشري التي تقوم على اغتصاب أراضي الغير وإرهابه وقهره... »[(١)].

وفي ظل هذا التعريف يتحدد مصطلح العنصرية اليهودية تلك العنصرية المنسجمة مع طبيعة الفكر اليهودي الاستعلائي ليشير إلى تلك العقيدة التي «تستند إلى فلسفة مناقضة للدين والعلم، حول أفضلية العنصر اليهودي على من عداه من العناصر البشرية الأخرى»[(٢)].

ولعل من بين الألفاظ التي تدور في فلك هذه الكلمة وتكاد تأتي مترادفة معها مما هو سائر ومشتهر:

العصبية:

---

(١) الحركات الهدامة: مسعود كريم، وخليل إبراهيم حسونة ص ٢٢٢ ط دار المدينة ١٩٨٦م.

(٢) العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي ٦٤/١.

ومما تجدر ملاحظته أنه في عام ١٩٧٥م صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٣٣٧٩ الذي نص على اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري وتحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية ألغي هذا القرار فيما بعد. لمزيد من التفاصيل انظر: الدين في القرار الأمريكي: محمد السماك ص ١٦، دار النفاس - بيروت - لبنان ط ٢٠٠٣م.

ومما جاء في معناها يقال: عصب عصبًا، وعصب على الشيء عصبًا وعصابًا، وعصب اللحم عصبًا: كثر عصبه فهو عصب، وتعصب واعتصب: شد العصابة، ولف العمامة على رأسه، وتعصب فلان: كان ذا عصبة، ويقال تعصب له وتعصب معه نصره، واعتصب القوم صاروا عصبة، وتعصب القوم عليهم اجتمعوا، والعصبة والعصابة: الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير، والعصبية: المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره، أو تلزمه لغرض»[(١)].

فاللفظة في معناها تدور حول الاجتماع، والقبض، والشد، والمحاماة، والمدافعة وهذه المعاني في مجملها تكاد تقترب ولو بوجه ما من المعنى السابق للعنصرية ويظهر ذلك عند التأمل في المعنى الاصطلاحي لكلمة التعصب والذي يشار إليه بأنه: « نظرة سلبية إلى الآخر، يمثل انتماءً زائدًا إلى الفئة أو الجماعة التي ينتمي إليها المرء ارتباطًا بها يصل إلى حد الاستعباد التام للآخرين أو كراهيتهم والتعالي عليهم.... »[(٢)].

(١) انظر: المعجم الوسيط ٦٠٣/٢، ٦٠٤. النهاية في غريب الأثر ٤٨٢/٣. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله ٤٢٢/١، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.، لسان العرب ٦٠٢/١.، معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق/ عبد السلام هارون ٣٤٠/٤، دار الفكر ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.، معجم العلوم الاجتماعية: فردريك معتوق، مراجعة وإشراف / محمد دبس ص ٤٩ أكاديميًا انترناشيونال للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٩٨م.

(٢) مفاهيم في الفلسفة والاجتماع: أحمد خورشيد النوره جي ص ٩ دار الشئون الثقافية العامة بغداد ط ١٩٩٠م. وموسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د/ عبد المنعم الحنفي ١٠٨/١ مكتبة مدبولي القاهرة ط ١٩٧٥م. ولا شك أن ما يحدث في فلسطين المحتلة يعد مثالاً صريحًا لذلك حيث يتبع الصهاينة كل الوسائل من أجل تحقيق ذلك في ظل

أو هي كما أشار صاحب موسوعة المورد بأنه: « إفراط في الميل أو الانحياز في رفض الانصياع للحق عند ظهور الدليل»[(١)].

العرقية:

ومما جاء في معناها: اعرق الشجر امتدت فروعه في الأرض، ويقال

تلك النظرة أو السياسة التي تقوم على محاولة إخراج العرب من ديارهم وإحلال المهاجرين اليهود محلهم.

(١) موسوعة المورد: منير البعلبكي م٤ ص ١٠٢ دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ط ١٩٨١م. قاموس علم الاجتماع: محمد عاطف غيث ص ٣٤٦، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ١٩٨٩م.

ولهذا يوصف المتعصب بأنه مشحون بشحنة انفعالية زائدة تجعل التفكير بعيدًا عن الحيادية والمنطق السليم، فتعصب الفرد لجماعته يجعله يشعر بالحب نحوها تجاه كل ما عداها من الجماعات، وبذلك يؤدي التعصب إلى عزل الجماعات المتعارضة وإلى إقامة حدود فاصلة بينها، ولذلك كان من خصائص قوميتنا العربية الواضحة أنها لا تقوم على أساس التعصب أو كره الشعوب الأخرى أو التسامي عليها، وإنما تقوم على أساس التعاون مع القوميات الأخرى واحترامها، كذلك نمَت بين الشباب التوجهات الإيجابية نحو العمل واحترامه، والتوجه نحو التفكير العلمي والإيمان بالعلم الحديث وغير هذا من التوجهات. (انظر: دراسات في علم النفس الاجتماعي: عبد الرحمن محمد عيسوي ص ١٩٦، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٤م).

ومن ثم يتضح أن التعصب نوعان: نوع محمود ونوع مذموم، فالنوع المحمود إذا انحاز الإنسان إلى شيء على أساس الدليل والبرهان والمنطق، أما التعصب المذموم فهو انحياز الإنسان إلى شيء بتأثير الانفعالات والعواطف دون استخدام العقل والفكر والمنطق.

أعرق فلانٌ في الكرم: كان له أصل، وعارفه ناظره بأصله، والعرض أصل كل شيء، يقال: تداركته أعراق صدق أو سوء، والعرق مجرى الدم في الجسد، والعريق الكريم الأصيل، يقال: رجل عريق، وفرس عريق كريم أصيل، والعراقة: الأصالة «محدثة»[1].

فالعراقة إذن هي نسبة إلى الأصل والعرق والعريق هو ما كان له أصل ينتمي إليه، ويفاخر به.

لهذا أشير إلى مصطلح الجماعة العرقية بأنه يقصد به «بعض أقسام السكان الذين يستندون في وجودهم الاجتماعي إلى وحدة النسب، والثقافة، واللغة، والتقاليد والأصل القومي... »[2].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ٥٩٦/٢، المخصص لابن سيده ٢٣٢/١، تاج العروس من جواهر القاموس ١٥٠/٢٦، معجم مقاييس اللغة ٢٨٦/٤.

(٢) في ضوء هذا التحديد يولد الأفراد في جماعات عرقية خصوصًا في المجتمعات الغربية، وتحدد مواقعهم الاجتماعية باعتماد انتمائهم إليها، وليس وفقًا لمنجزاتهم؛ وقدراتهم في مجال العمل، ونتيجة للمعوقات الاجتماعية، وحواجز الفصل ينحصر زواج أفراد هذه الجماعات داخل جماعاتهم، كما يميلون إلى التكتل في أحياء منعزلة خاصة بهم، وهذه العزلة التقليدية كانت من العوامل التي لم تساعد اليهود في أنحاء العالم على الاندماج بالشعوب التي يعيشون بينها بسبب تفضيلهم الدائم أن يظلوا يهودًا في تقاليدهم وعاداتهم، وتوجهاتهم، وملبسهم، وعقيدتهم، وكان هذا السبب يدعو دائمًا إلى النفور منهم في أي مجتمع يحلّون به.
(انظر: التعصب والتمركز الثقافي والعرقي: قيس النوري، ضمن قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر ص ٤٤، ٤٥، ط بغداد ١٩٧٠م.، علم الاجتماع: عبد الحميد لطفي ص ١٥٤، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ط ١٩٨١م.

وفي ضوء هذه المعاني ما يقترب بهذه اللفظة إلى معنى العنصرية في ظل ما يدعيه اليهود من أن ثمة جوهرًا يميزهم عن غيرهم من البشر، وأن هذا الجوهر في زعمهم لا يتغير بتغير الأزمان والأحوال.

ومن هنا يدفع هذا الإحساس بالتميز على بقية البشر والاستعلاء عليهم، واحتقارهم، وإضمار الحقد والكراهية لهم على نحو ما سيأتي لاحقًا.

أما كيف نشأ هذا ؟ فيبدو أن هذا الأمر - كما يتصور البعض - قد نشأ وتشكل لدى اليهود منذ أن حرفوا وحيَّ السماء لينحتوا منه دينًا قوميًا يعتمد على أساس عنصري، والذي يعَّد أسوء أنواع العنصرية التي يوجهها اليهود ضد ما عداهم من الجنس البشري، وذلك بعد أن «انحرفت اليهودية عن المنهج الإلهي الحق، منذ بدء تحريف كتابهم «التوراة» على يد اتباعها الذين قاموا بكتابتها وتسطيرها برئاسة الحبر «عزرا الوراق»[1] أبان فترة السبي

(١) هو: عزرا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا بن شلوم بن صادق بن اخيطوب بن أمريا بن عزريا بن طريوث بن زرحيا بن عزى بن بقي بن ابيشوع بن فينحاس بن العازر بن هارون، وعزريا اسم عبري معناه عون، والاسم نشأ كاختصار لاسم عزريا وهو ابن عزرا بن سرايا لقب بالكاتب، وكان موظفًا في بلاط إمبراطور الفرس «ارتحشستا» ومستشارًا له في شئون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيام السبي، وقد تمكن لثقة الإمبراطور به وتلبية طلباته من أن ينال عفو الإمبراطور عن اليهود، وسماحه لهم بالعودة إلى القدس، وإتاحة حكم ذاتي لهم في فلسطين بحيث يقيمون مجتمعهم على التقاليد العبرانية، أما في علاقتهم الخارجية فيوالون الفرس ويخلصون لهم، هذا وقد كان عزرا يجمع الأسفار والمدونات التي يشتبه في قدسيتها وتتفق مع فكره، وتقبل هوى الجماعة اليهودية فينفتح فيها ويحذف ويضيف بمقدار، ولم يلق =

البابلي فيما بين عامي ٥٨٦ - ٥٣٨ ق.م[١].

ويرجع هذا الانحراف إلى سبب عنصري وهو: « أن اليهود حين رأوا في أثناء الأسر في بابل أدبار الدنيا عنهم، بزوال ملكهم، وخشيتهم من إقبالها على بني عمومتهم (العرب) نسل إسماعيل - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - بالذات كما وعدتهم التوراة الأصلية حيث تحوي أخبارًا كثيرة عن الإسماعيليين (العرب) وعلى رأسها البشارة ببعثة محمد - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾[٢]»[٣].

حين رأى اليهود ذلك تفجرت العنصرية عندهم، وهنا رأوا أن يحتفظوا بكيان مستقل إلى الأبد، حيث شكلوا لجنة من العلماء التي ابتدأت تحريف الديانة اليهودية برئاسة عزرا الوراق إبان الأسر البابلي على المبادئ العنصرية

=

معارضة حيث كان أكثر الشعب المنفي قد ابتعد عن ديانته، وأكثرهم لم يعد يتحدث العبرية. (انظر: قاموس الكتاب المقدس: جماعة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين ص ٦٢١، مكتبة المشعل - بيروت - لبنان ط السادسة ١٩٨١. سفر عزرا ٦/٧، أساطير التوراة: عاطف عبد الغني ص ٢٧ مركز الحضارة العربية القاهرة - بدون.، مقارنة الأديان اليهودية: د/ أحمد شلبي ص ٢٦٢، ٢٦٣، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة، ط الخامسة ١٩٧٨م).

(١) العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي ٦٦/١.

(٢) سورة الأعراف من الآية (١٥٧).

(٣) التوراة السامرية: تقديم د/ أحمد حجازي السقا ص ٦ دار الأنصار، القاهرة، الأولى ١٩٧٨م.

الآتية:

١- إن الله تعالى إله واحد، ولكنه ليس للعالمين، وإنما لبني إسرائيل فقط.

٢- شريعة التوراة أنزلها الله، ولكن ليس للعالمين، وإنما لبني إسرائيل فقط.

٣- النبي المنتظر الذي أخبر عن مجيئه أنبياء بني إسرائيل - عليهم السلام - سوف يأتي ولكن ربما يكون من بني إسرائيل (اليهود) لا من بني إسماعيل (العرب)!.

٤- الوعود الإلهية المتكررة بتمليك بني إسرائيل ما بين النيل إلى الفرات!.

٥- العنصر اليهودي اختاره الله وحده دون سائر العناصر البشرية الأخرى!.

٦- تبرير أعمال اليهود فيما يستقبل من الزمان![1].

إن ظروف السبي البابلي خلقت عند اليهود الشعور بالضيعة والمذلة وآليات الدفاع عن النفس بلورت لديهم عقدة التعالي كرد فعل على ذلك فكان المنهج العنصري جزءًا لا يتجزأ من تعاليمهم.

وكان العنوان الواضح لهذه العنصرية هو «الشعب المختار» الذي نسج دينًا قوميًا يعتمد على المبادئ العنصرية التي ترمي إلى تمجيد الجنس اليهودي دون سواه من الأجناس البشرية الأخرى، وتؤكد أحقيته في السيطرة على العالم وتسخير شعوبه لمصلحة اليهود وبذلك «أصبحت العنصرية اليهودية من أسوأ أنواع العنصرية في العالم أجمع لأنها تستغل الدين في

(١) التوراة السامرية ص ٦. وانظر: دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة: محمد السعدي ص ١٤٠ - ١٤٣، دار الثقافة، ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

تحقيق هذه المرامي العنصرية »[1].

ولم تعدم العنصرية اليهودية من اختلاق التبريرات المختلفة التي يروجون لها لتبرير عنصريتهم وتفوقهم على سائر الأجناس البشرية.

حتى أضحت هذه العنصرية « تتطور بتعاقب الأزمنة نحو الأسوأ حتى بلغت أوجها بعد أن تمكن اليهود من خلال «الحركة الصهيونية» من إقامة دولة إسرائيل في فلسطين عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م حيث يمارس اليهود رسميًا عنصرية الدولة »[2].

هذه العنصرية التي تجلت في أبشع أنواعها، والتي جمعت بين عناصر الاستيطان والعبودية، والقهر، والهيمنة، والاحتكار، والاستعمار، والإبادة، حتى صارت ممارساتها حقًا أبديًا، وأمرًا قطعيًا يمارسه « الآلهة البشر «اليهود» كعناصر نبيلة رفيعة متفوقة متعالية سامية نقية الماهية ضد العناصر المنحطة الوضعية المتخلفة «الآخر العربي» حيث تصبح هذه العقيدة كتعبير عن القداسة الناجمة عن الحلول الإلهي في الشعب المختار المقدس - حلولاً كاملاً في المادة والتاريخ - رخصة تمنح الحق بممارسة كافة أنواع السلوك العنصري وممارسة كل أشكال الإبادة، والمحو والسيطرة والتملك والنهب والتي شهدتها البشرية وعرفتها طوال تاريخها »[3].

---

(١) العنصرية اليهودية ٦٨/١.

(٢) العنصرية اليهودية ٦٨/١.

(٣) مملكة داود وسليمان العبرية أوهام لا نهاية لها: أحمد عزت سليم ص ٣٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط ٢٠١٣م. وفكرة الشعب المختار هي أحد أركان الثالوث =

الفصل الأول
مسببات الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المسببات الفكرية

المبحث الثاني: المسببات النفسية.

توطئة:

إن الشعور بالاستعلاء والاستكبار على جميع الخلق داء عضال، ومزمن عند الأمة اليهودية حيث يعتقد اليهود بأنهم فئة عليا من البشر ويصبغون على أنفسهم أوصافًا يدَّعون من خلالها أنهم يتفوقون على الأجناس الأخرى أخلاقيًا، وعقليا، وعرقيا وهذا ما يكرره ويتحدث به علنا حاخاماتهم ومفكروهم.

وهذه العنصرية الاستعلائية يتغاضى عنها العالم، وخاصة في ظل سيطرة هؤلاء القوم على مجريات الإعلام في العالم رغم ترجمة ذلك على أرض الواقع بارتكاب المجازر الدموية ضد الفلسطينيين، والعرب من قِبَلِ إسرائيل.

=

الحولي الإله والأرض والشعب فيحل الإله في الأرض لتصبح أرضا مقدسة ومركزاً للكون، ويحل في الشعب ليصبح شعباً مختاراً انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية د عبد الوهاب المسيري ج٥ ص٣٧ دار الشروق،القاهرة،١٩٩٩م.

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل لقد تجاوزت الاستعلائية العنصرية اليهودية حدود ذلك إلى العمل بكل ما في الوسع للسيطرة على الجنس البشري في ظل الاعتقاد بالعلوية والأفضلية على باقي الأجناس ومن ثم التحكم والسيطرة في العلاقات مع الشعوب الأخرى.

هذا الاستعلاء الذي يقوم على فكرة مؤداها «أن مجموعة محدودة من البشر يتسمون بكونهم طبيعيًا أسمى من غيرهم »[1]، وكما سبق لا تعدم العنصرية اليهودية اختلاق التبريرات المختلفة التي يروجون بها لعنصريتهم وتفوقهم على سائر الأجناس البشرية الأخرى من حيث كونهم أمة مختارة من قبل الرب- جل وعلا- لا بوصفهم شعبًا فقط، بل اختارهم كجماعة دينية قومية توحدها أفكارها وعقائدها، وقد عرضت الرسالة على شعوب الأرض فرفضت هذه الشعوب حملها، وحملها الشعب اليهودي.

والمتأمل في نصوص تعاليمهم المقدسة يلمس بجلاء: أن أخطر ما أصاب دعوة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إقامة ديانة عنصرية زيفت الأصول الأصيلة المنزلة للدين والمرتبطة بمدلول التوحيد الجامع المتصل بين الناس جميعًا والقائم على الإيمان وحده وليس على تمييز جنس معين من الأمم والذي يقرر أن وراثة الأرض إنما تكون للمتقين.

والسؤال الذي يطرح نفسه من خلال هذه الدراسة ما هي أهم المسببات التي أدت بهؤلاء إلى هذه النزعة الاستعلائية ؟

---

(١) الصهاينة الجدد مهمة لم تنته: ناصر بن محمد الزمل ص ٨٦، ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

والإجابة على ذلك تتحدد في ضوء ما تسفر عنه الصفحات التالية من مسببات.

المبحث الأول
المسببات الفكرية

أولاً: فكرة الشعب المختار:

تقوم العقيدة اليهودية على أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله تعالى قد اختارهم من بين خلقه، وأنه ميزهم من بين سائر الشعوب والأمم ليكونوا عباده المختارين فتغلغلت فكرة الشعب المختار في أعماق النفسية اليهودية حتى أصبحت جزءً لا يتجزأ من الديانة اليهودية بحيث تصبح والعدم سواء إذا جردت منها.

وهذا العنوان يعتبر وصفًا بارزًا لليهود في عقيدتهم التي يخترنونها عن أنفسهم، ومن الواضح «أن هذه العقيدة لا تقف عند حدود تمجيد الذات، بل تتعداه إلى احتقار من عداهم من الشعوب، وربما يعتقدون أنهم خدم عندهم»[(١)].

وذلك من خلال دعواهم « أن أرواحهم من روح الله، وعنصرهم من عصره، ومن هنا كانوا أبناءه الأطهار الذين اصطفاهم، واختارهم فوق سائر البشر بينما غيرهم من «الجوبيم» أرواح حيوانية أو شيطانية، ولكن الله خلقهم على صورة الإنسان لكي يتمكنوا من خدمة اليهود»[(٢)].

---

(١) أكاذيب التاريخ الكبرى: مجدي كامل ص ٦١، دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة، ط الأولى ٢٠١١ م.

(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية: د/ سعد الدين صالح ص ٢٨٥، دار الصفا ط الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

ومن المفارقات الغريبة والعجيبة أن يندد هؤلاء بعنصريات غيرهم مع أن المتتبع لمجريات الأمور يجد أنهم أبشع دعاته في حاضرهم فضلاً عن ماضيهم حيث تفرد هؤلاء من بين سائر الأمم « بآفاتهم المتكررة، وخطيئتهم المدمرة، حين جعلوا ذلك «عقيدة ودينًا» ونسبوه إلى الوحي الإلهي وسجلوه في صلب كتبهم الدينية على أنه حقائق إلهية ومقررات نبوية، ولقد كان هذا الاستعلاء الجاهل المظلم من أفدح الجنايات التي أوقعها اليهود بوحي السماء فعطلوا بذلك مسيرته، وخانوا أمانته، ودمغوه بالعنصرية والشعوبية مع أنه رحمة للعالمين »[(١)].

وفكرة الشعب المختار تعد هي المرتكز الأساس لولادة الاستعلاء والتعصب في الفكر الصهيوني[(*)] المعاصر، ومؤدى هذه الفكرة أن الشعب اليهودي هو شعب مختار، اختاره الإله وفضله على العالمين وميزه على

(١) معركة الوجود بين التلمود والقرآن: د/ عبد الستار فتح الله سعيد ص ١٥٧، ١٥٨، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط الثانية ١٤٠٥هـ.

(*) يعود ابتكار مصطلح الصهيونية إلى عام ١٨٩٠م من «ناثان بيربنوم» وقد نشر فهمه لهذا المصطلح في مجلته (Selbste manziption) (تأسيس منظمة للصهيونية السياسية القومية) العدد الأول نيسان (إبريل) ١٩٨٠م، وقد أصبح المصطلح عام ١٨٩٦م عند هرتزل دلالة على حركة سياسية والكلمة مشتقة من الأصل (صهيون) اسم جبل في أورشليم، ويرجع استخدامها لدى اليهود مرادفة لكلمة أورشليم منذ هدم الهيكل الأول. (انظر: الصهيونية واليهودية في الصهيونية الواقع والمواجهة ندوة فكرية عقدها المجمع العلمي العراقي في الفترة ٥ - ٦ /١٢/ ١٩٩٥م، منشورات مكتب الشئون الفكرية والدراسات حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ص ٣ ط بغداد ١٩٩٨م.

الخلق[1].

وأن هذا الاختيار في اعتقادهم هو « برنامج إلهي فيهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم كذلك فإنهم يسمون أنفسهم «الشعب الأزلي» و«الشعب الأبدي» حيث يعتقدون أنهم مثل الله لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية و «الشعب المقدس»»[2].

ومن ثم فقد تربت الأجيال اليهودية في مختلف الأزمان والأمصار على هذا الاعتقاد وعلى الإحساس بأنهم هم شعب الله المختار، وأنهم هم الجنس المتفوق، وأن كل الآخرين هم دون بني إسرائيل.

كما تربوا أيضًا «على الإحساس بأنهم أصل الكون، وأنهم الذين أبدعوا كل ثقافات العالم »[3] .

ولا تقف فكرة الشعور بالاستعلاء العنصري في التكوين النفسي اليهودي عند هذا الحد بل تنعكس في العديد من التعبيرات التي تعكس

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د / عبد الوهاب المسيري ٧٤/٥ ط دار الشروق القاهرة ١٩٩٩م. الصهيونية والنازية: معين أحمد محمود ص ٢٤ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت – لبنان ١٩٧١م.

(٢) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: رشاد عبد الله الشامي ص ٢٨ سلسلة عالم المعرفة (١٠٢) المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، الكويت ١٩٨٦م.

(٣) انظر: سفر التثنية ٢/١٤ وفيه: « لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ »

الإيمان العميق لدى اليهود بحقارة أمم العالم مثل: « (جوى) التي يشار بها إلى الشخص غير اليهودي، وتعني القذارة المادية والروحية والكفر، و(عاريل) ومعناها الأغلف أي غير المختتن الذي يبقى بدائيًا فطريًا فيظل قذرًا وكافرًا في آن واحد، وكانوا يطلقونها على المسيحيين لعدم شيوع الختان بينهم و(ممريز) - أي ابن الزنا - وهي تدل في أسفار العهد القديم على الشعب المختلط الأنساب وقد خصصها اليهود للمسلم نسبة إلى ما يعتقدونه من أن إسماعيل أبو العرب ولد من هاجر التي تعتبر في نظرهم جارية وأجنبية»[(١)].

وهكذا نجد أن الفكر اليهودي قد صاغ العقلية اليهودية في إطار من العنصرية التي تسبغ على اليهود صفات المديح والتعظيم في الوقت الذي تتعامل فيه مع الشعوب غير اليهودية بسيل من الأوصاف العنصرية والشتائم التي تؤكد على الاستعلاء العنصري والذي هو أساس ثابت في تكوينها[(٢)].

ومما تجدر الإشارة إليه أن فكرة الشعب المختار قد استمدت من مصدرين أساسيين:

الأول: داخلي وهو مصدر متمثل في الديانة اليهودية نفسها: فعند الرجوع إلى المصادر المقدسة[(*)] لدى هؤلاء اليهود يمكن أن نتلمس أصول

(١) الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه: د/ حسن ظاظا ص ٢٥ مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٧٠م.

(٢) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ٣٠.

(*) حيث تقوم اليهودية على مصدرين أساسيين أولهما العهد القديم، وثانيهما هو التلمود.

هذه الفكرة التي تكررت أكثر من مرة في جملة من النصوص الواردة في إصحاحات العهد القديم.

فعلى سبيل المثال نطالع في سفر الخروج: «أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. (*) فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. (*) وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً»[1].

وفيه أيضًا: «لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، (*) وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا »[2].

وأيضًا: « وَلاَ يَسْمَعُ لَكُمَا فِرْعَوْنُ حَتَّى أَجْعَلَ يَدِي عَلَى مِصْرَ، فَأُخْرِجَ أَجْنَادِي، شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ »[3] .

وفي سفر أشعيا تأتي مخاطبة إله بني إسرائيل للشعب بقوله: «وَالآنَ اسْمَعْ يَا يَعْقُوبُ عَبْدِي، وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ.... أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى نَسْلِكَ وَبَرَكَتِي عَلَى ذُرِّيَّتِكَ»[4].

وحسب مرويات العهد القديم يبين الرب - رب إسرائيل - لماذا اختارهم من دون سائر الشعوب، وماذا يجب عليهم أن يفعلوا في هذه

(١) سفر الخروج ١٩/٤ - ٦.

(٢) الخروج ٦/٦.

(٣) الخروج ٧/٤.

(٤) أشعيا ٤٤/١ - ٢.

الشعوب الأخرى، فقال: «وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ(*) لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، (*) لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. (*) بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ»[1].

ويقول أيضًا: « مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِيكَ وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ»[2].

وفي سفر اللاويين نطالع: « وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا»[3].

وأيضًا: « أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ»[4].

وغير هذا كثير.

من خلال النصوص السابقة يتبين أن إله إسرائيل قد أكد على مثل هذه الخصوصيات التي يرى أنها موجودة في الشعب المختار شعب بني إسرائيل.

---

(١) التثنية ٧/ ٥ – ٨.

(٢) التثنية ١٤/٧.

(٣) سفر اللاوين ١٢/١٦.

(٤) اللاويين ٣٠/٢٤.

حتى أصبح هؤلاء على قناعة «بأنهم هم أفضل الشعوب، وأعظمهم، ومن حقهم أن تكون لهم السيادة، وليس عجيبًا بعد هذا أن نرى عددًا كبيرًا من مؤرخيهم وزعمائهم، يرون أن لهم رسالة عالمية، عليهم أن يوصلوها إلى الشعوب الأخرى، وأن مفهوم (الشعب اليهودي المختار) يتضمن الاختيار لتأدية هذه المهمة.... »[1].

وكما ترددت أصداء هذه الفكرة في نصوص العهد القديم ترددت أيضًا في التلمود[*] ومما جاء فيه: «والشعب المختار - أي اليهود - فقط يستحق

---

(١) الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم: هشام محمد أبو حاكمه ص ٢٥٦، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان - الأردن - دار الجيل ط ٢٠١٤م.

(*) التلمود: هو عبارة عن مجموع الشرائع المدنية والاجتماعية اليهودية المتوارثة، وقيل: هو مجموع الشرائع اليهودية التي نقلها أحبار اليهود في شرع وتفسير التوراة واستنباط من أصولها ويقسم التلمود إلي قسمين،المشنا،وهي النص أو المتن والجمارا وهي التفسير أو الشرح والتلمود هو الاسم الجامع للمشنا والجمارا معا (انظر لمزيد في التفاصيل: اليهودية واليهودية المسيحية: د/ فؤاد حسنين ص ٣٣٣، ط ١٩٩٨م القاهرة. صفة التلمود والزوهار في الديانة اليهودية: أحمد سوسه، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية مجلد٣ ع ١ص ٨٦ جامعة بغداد ١٩٧٤م) و اليهود يضعون التلمود فوق التوراة، والحاخام فوق الله ويزعمون أن الله يقرأ وهو واقف على قدميه، وما يقوله الحاخام يفعله الله، وأن تعاليمهم اللاهوتية في التلمود لهي أطيب من كلام الشريعة، والخطايا المقترفة ضد التلمود لهي أعظم من المقترفة ضد التوراة، وأن الله يأخذ رأى الربانيين على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء، وأن كلمات الربانيين أشد عذوبة من كلمات الأنبياء ... وذلك لأن كلماتهم هي كلمات الله. (انظر: الدوافع العدوانية في النفسية اليهودية: يوسف محمد إبراهيم ص ٧٥، منشورات اتحاد الكتب

الحياة الأبدية»[١].

وأيضًا: « ميز أرواح اليهود من باقي الأرواح بأنها من الله كما أن الابن جزء من والده»[٢].

وأنه بناءً على ذلك « فإن الإسرائيلي يعدُ عند الله أفضل من الملائكة»[٣] فإذا ضرب اميَّ [**] يهوديًا فكأنه ضرب العزة الإلهية »[٤].

كما جاء في التلمود أيضًا: « أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم

=

العرب، دمشق - سوريا ٢٠١٥م، أحجار على رقعة الشطرنج: وليم غاي كار، دراسة وتقديم د/ الحسيني الحسيني معدي ص ١٥٧، دار الحرم للتراث القاهرة ط الأولى ٢٠١١م..

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست روهلنج ترجمة / يوسف حنا نصر الله، ص٦٨ بيروت، ط ١٩٦٨م.، أحجار على رقعة الشطرنج ص١٥٧

(٢) همجية التعاليم الصهيونية: بولص حنا مسعد ص ٥٠، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٦٩م،أحجار على رقعة الشطرنج ص ١٥٦

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص ٦٦.

(**) المراد بالأمي: جميع غير اليهود أو ما ليس بيهودي فيدخل فيه جميع البشر غير اليهود فالأمي والأممي والكافر والوثني، وأبناء نوح، والغريب والأجنبي والجويم جميع هؤلاء واحد وهؤلاء عند اليهود حيوانات في صورة بشر. (انظر: التلمود تاريخه، تعاليمه، خفايا: د/ محمود محمد مزروعة ص ٣٠٥ هامش، مكتبة كنوز المعرفة السعودية، ط ١٤٣٢هـ).

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه خفاياه ص ٣٠٥.

مصدرها الروح النجسة»[١].

وفيه « إن الخارجين عن دين اليهود بمثابة خنازير نجسة تسكن الغابات»[٢].

هذا وقد ترسخت فكرة الشعب المختار لدى هؤلاء عن طريق إدخالها في الصلاة اليومية حيث يقولون في كل يون: « أنهم أبناء الله وأحباءه » [٣].

إضافة إلى إطلاق أسماء قدسية على الشعب اليهودي - كما سبق - منها الشعب المقدس والشعب الكنز[٤] وشعب الرَّب، والشعب الأزلي، والشعب الأبدي[٥].

ومن ثم فهم يرون «أن العنصر اليهودي هو الأرقى حضارة والأكثر كمالاً وخلقًا وتفوقًا عقليًا على غيره... ومن كان مثل هذا الموقع يجب أن يعطي الفرصة الكاملة لتحقيق الأهداف التي أوجد من أجلها »[٦].

وضمن هذا السياق نجد الحاخام « كاهانا»[*] يؤكد أزلية وأبدية الشعب

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه خفاياه ص ٣٠٧.

(٢) السابق ص ٣٠٧.

(٣) التلمود والصهيونية: أسعد رزوق، سلسلة كتب فلسطينية (٣١) ص ٤٣ مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - لبنان ١٩٧٠م.

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٧٢/٥.

(٥) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ٢٩.

(٦) الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم ص ٢٥٦.

(*) مائير كاهانا: عضو كنيست وزعيم رابطة الدفاع اليهودية، وحركة (كاخ) الصهيونية ولد =

المختار بقوله: « لقد اختار الرب شعب إسرائيل شعبًا مختارًا وأقسم إلا ينقرض إلى الأبد ».

وأضاف قائلاً: « إن اليهود فعلاً شعب فريد وخاص فريد في نوعه وخاص لأنه شعب يشكل أمه وديناً في آن واحد»[1].

الثاني: أما المصدر الثاني فبالإضافة إلى الديانة اليهودية التي شكلت المصدر الداخلي للفكرة السابقة، والتي أفضت بدورها إلى الاستعلاء العنصري والتعصب يلاحظ كما في تصور البعض أن الفكر الألماني قد غذى هذه النزعة في الفكر اليهودي الصهيوني حيث يقدس هذا الفكر روح الشعب

=

عام ١٩٣٢م في نيويورك ونشأ على روح التعصب والاضطراب، والبغضاء لكل ما هو غير يهودي، أصر والده تشارز كاهانا على تنشئته تنشئة عسكرية ودفع به إلى أحضان حركة «بيتار» بعد عام ١٩٤٨م، هاجر إلى فلسطين لأول مرة وعاش فيها مدة عام ثم التحق بالجامعة العبرية ودرس القانون ولكنه رسب وأخفق في الحصول على المحاماة، ودفعه هذا الإخفاق إلى التوجه إلى الكنيسة يلتمس طريقًا للشهرة بواسطة القبعة المزركشة= = بنجمة داوود ودرس في المدارس الدينية، نشر كتابًا في الولايات المتحدة الأمريكية عنوانه « لن يحدث ذلك أبدًا » وقد ضمنه خلاصة فكره ومعتقداته، وفي عام ١٩٦٦م أسس رابطة الدفاع اليهودية.

(انظر: رابطة الدفاع اليهودية في أمريكا والكيان الصهيوني: نموذج للتنظيم الإرهابي العالمي: عبد الوهاب محمد الجبوري، مجلة بيت الحكمة، السنة الثانية العدد (٩) ص ٥٧، ٥٨ مارس ١٩٩٩م.

(١) التعصب في الفكر الصهيوني: عبير سهام مهدي، ص ٦٥ صفحات للدراسات والنشر سوريا - دمشق، ط الأولى ٢٠١٢م.

وحقوقه المطلقة وخصوصًا فلسفة الفيلسوف نيتشه(*) التي اجتذبت الصهيونية، الأمر الذي دعى « آحاد هاعام » (**) إلى نشر مقال عنوانه: «إعادة تقييم القيم » لإعادة صياغة الفكرة النتشوية الأساسية المعروفة بانقلاب القيم وإعطائها قالبًا يهوديًا»(١).

كما أدعى أنه لكي «ينبعث هذا العرق المتفوق لا بد له من مكان ثابت ومستقر حتى تتاح له الفرصة ثانية لتطوير عبقريته وإبلاغ رسالته كاملة

(*) نيتشة: فيلسوف ألماني ولد في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٤٤م في قرية راكن لوتس في ألمانيا نشر العديد من الأعمال الفلسفية منها أفول الأصنام، وهكذا تكلم زرادشت أصيب في العقد الأخير من عمره بالجنون، وتوفى في ٢٥ آب (أغسطس) من عام ١٩٠٠م، أثرت كتاباته في الأخلاق والشخصية الفردية للشعوب في العديد من مفكري وكُتاب القرن العشرين.

(انظر: نيتشه: د/ فؤاد زكريا، سلسلة نوابغ الفكر الغربي (١) ص ٢١ - ٢٤ ط دار المعارف القاهرة، ط الثانية ١٩٦٦م).

(**) آحاد هاعام (١٨٥٦ - ١٩٢٧م) شاعر ومفكر يهودي من أهم كتاباته مثال عنوانه « ليس هذا هو الطريق» الذي انتقد فيه سياسة حركة «أحباء صهيون» وكان من نتيجة هذه المقالة أن تأسست جمعية شبه سرية عرفت باسم (بني موسى) وأصبح آحاد هاعام رئيسًا لها.

(انظر: الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية: إشراف/ أنيس الصايغ، ترجمة / لطفي العابد وموسى عنز ص ١٤١، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة ١٩٧٠م.

(١) الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية: خالد القشطيني، ص ٧٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان ط ١٩٨١م.

متفوقة»[١].

وبالطبع فهم يرون أن المكان الأكثر مناسبة لذلك هو فلسطين.

ومثلما نادى الفكر الألماني «بالشعب الآري» وتفوقه على غيره من الشعوب فإن «الصهيونية نادت بالشعب «اليهودي» وتفوقه على غيره من الشعوب والذي تمثل برفع شعار « شعب الله المختار»[٢].

وهكذا أصبح الظن مع الزمن وعبر مراحل التاريخ الطويل لبني إسرائيل حقًا والدعوى حقيقية، وتناقلت أجيالهم دعوى أنهم قومية خاصة ذات دم نقي، وإيمانهم بأنهم «شعب مميز عن بقية الشعوب منفصل عن الجنس البشري لا يخضع للقيم الأخلاقية التي تخضع لها سائر الشعوب »[٣].

وفي هذا وغيره ما يوضح مدى تأثر فكرة الشعب المختار في تجذير النزعة الاستعلائية العنصرية في فكر هؤلاء، تلك الفكرة العارية تمامًا من الصحة والتي لا تثبت بأي حال من الأحوال صلاحيتهم التي وضعوها لأنفسهم في كونهم شعب الله المختار، إذ كيف يليق بهم كشعب مختار قد عبد العجل الذي صنعه لهم السامري، وعبدوا غيره.

وهل كان الاختيار من الله بناءً على هذه العبادة لغيره والإشراك مع آلهة

---

(١) انظر: الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم ص ٢٥٧.

(٢) الصهيونية: منير ماشوش ص ٨٠ دار الميسرة – بيروت – لبنان ط ١٩٧٩م.
مع الفارق بالطبع بين النزعتين فالألمانية تنطلق من الاستعلاء العنصري فقط باعتبار الجنس دون غيره، أما اليهود فمنطلقه عندهم من الدين.

(٣) التعصب في الفكر الصهيوني ص ٦٦.

أخرى؟

وهل من الصحة أن يكون هذا الشعب مختارًا وقد عصى الله وتزمر عليه، ارتكب من الجرائم ما يعف عن ذكرها القلم؟ فقد نسب إلى الله - تعالى - فضلاً عن الأنبياء أفظع الجرائم كالزنا والخمر، وغير ذلك من الجرائم التي لا تليق بالأنبياء والرسل - عليهم السلام-، وما أمر قتلهم الأنبياء بغير حق عنا ببعيد.

ناهيك عن تلك الخرافات الواردة في نصوص كتبهم، ومعارضتها الصريحة مع العقل والمنطق والعلم والتاريخ.

لقد فهم هؤلاء أنهم أفضل الشعوب، وأنهم مختارون على غيرهم نتيجة لتلك النصوص السابقة وغيرها، والتي فهمت فهمًا خاطئًا على غير مرادها إما عن قصد أو بدونه، وكيف أن هذه الأفضلية هي أفضلية مرتبطة بطاعة الله وامتثال أوامره، وفي هذا يقول الأستاذ / ذكي شنوده: « ويبدوا من هذه النصوص ومن غيرها مما جاء بمعناها في التوراة أن وعود الله لليهود كانت دائمة معلقة على شرط واضح صريح لا يمكن تنفيذ هذه الوعود إلا باستيفاءه وهو أن يطيعوا الله، ويعملوا بأحكامه ووصاياه ويدينوا له بالولاء الدائم فلا يعبدوا سواه وإلا انقلب وعده إلى وعيد، وتحولت نعمته إلى نقمه... »[1].

وهذا هو ما تشير إليه نصوص أسفارهم التي يدينون بها فكما جاء في سفر التثنية: « أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً: (*) الْبَرَكَةُ إِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. (*) وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا

(١) المجتمع اليهودي: زكي شنودة ص ٥٤٧، مكتبة الخانجي، القاهرة بدون.

لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى »[1].

كما فات هؤلاء أيضًا حديث أسفارهم، ونصوصهم المقدسة ذات الدلالة الواضحة على غضب الله عليهم، ولعنهم بسبب عبادتهم للأصنام، وارتكابهم لكثير من الشرور والآثام في كل مرحلة من مراحل تاريخهم.

فها هو سفر الخروج على سبيل المثال يخبر قائلاً: « وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. (*) فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ»[2].

وفي إشارة سفر العدد والذي جاء فيه: « وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً: (*) «حَتَّى مَتَى أَغْفِرُ لِهذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُتَذَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَذَمَّرُونَهُ عَلَيَّ. (*) قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُذُنَيَّ. (*) فِي هذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَثُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ. (*) لَنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بن يَفُنَّةَ وَيَشُوعَ بن نُونٍ. (*) وَأَمَّا أَطْفَالُكُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَأُدْخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا. (*) فَجُثَثُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هذَا الْقَفْرِ، (*) وَبَنُوكُمْ يَكُونُونَ رُعَاةً فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْنَى جُثَثُكُمْ فِي الْقَفْرِ. (*) كَعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَجَسَّسْتُمْ فِيهَا

(١) سفر التثنية ١١/٢٦ - ٢٨.

(٢) سفر الخروج ٣٢/٩ - ١٠.

الأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلسَّنَةِ يَوْمٌ. تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَادِي. (*) أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لأَفْعَلَنَّ هذَا بِكُلِّ هذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُتَّفِقَةِ عَلَيَّ. فِي هذَا الْقَفْرِ يَفْنَوْنَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ»[1].

وفي حديث سفر القضاة: « وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَآلِهَةَ أَرَامَ وَآلِهَةَ صِيدُونَ وَآلِهَةَ مُوآبَ وَآلِهَةَ بَنِي عَمُّونَ وَآلِهَةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ. (*) فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَبَاعَهُمْ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَبِيَدِ بَنِي عَمُّونَ. (*)... فَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ قَائِلِينَ: «أَخْطَأْنَا إِلَيْكَ لأَنَّنَا تَرَكْنَا إِلهَنَا وَعَبَدْنَا الْبَعْلِيمَ». (*) فَقَالَ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «أَلَيْسَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَبَنِي عَمُّونَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ خَلَّصْتُكُمْ؟ (*)وَالصِّيدُونِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَالْمَعُونِيُّونَ قَدْ ضَايَقُوكُمْ فَصَرَخْتُمْ إِلَيَّ فَخَلَّصْتُكُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ؟ (*) وَأَنْتُمْ قَدْ تَرَكْتُمُونِي وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً أُخْرَى. لِذلِكَ لاَ أَعُودُ أُخَلِّصُكُمْ. (*) اِمْضُوا وَاصْرُخُوا إِلَى الآلِهَةِ الَّتِي اخْتَرْتُمُوهَا، لِتُخَلِّصَكُمْ هِيَ فِي زَمَانِ ضِيقِكُمْ»[2].

كما جاء في سفر أرميا: «ها هي أيام تأتي يقول الرب.... تَصِيرُ جُثَثُ هذَا الشَّعْبِ أَكْلاً لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَلِوُحُوشِ الأَرْضِ، وَلاَ مُزْعِجَ. (*) وَأُبَطِّلُ مِنْ مُدُنِ يَهُوذَا وَمِنْ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ صَوْتَ الطَّرَبِ وَصَوْتَ الْفَرَحِ، صَوْتَ الْعَرِيسِ وَصَوْتَ الْعَرُوسِ، لأَنَّ الأَرْضَ تَصِيرُ خَرَابًا.»[3].

---

(١) سفر العدد ٢٦/١٤ - ٣٥.

(٢) سفر القضاة ١٠ / ٦ - ١٤.

(٣) سفر أرميا ٣٢/٧ - ٣٤.

كذلك جاء في سفر حزقيال: « هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ ضَجَجْتُمْ أَكْثَرَ مِنَ الأُمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكُمْ، وَلَمْ تَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِي، وَلَمْ تَعْمَلُوا حَسَبَ أَحْكَامِي، وَلاَ عَمِلْتُمْ حَسَبَ أَحْكَامِ الأُمَمِ الَّتِي حَوَالَيْكُمْ، (*) لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا إِنِّي أَنَا أَيْضًا عَلَيْكِ، وَسَأُجْرِي فِي وَسْطِكِ أَحْكَامًا أَمَامَ عُيُونِ الأُمَمِ، (*) وَأَفْعَلُ بِكِ مَا لَمْ أَفْعَلْ، وَمَا لَنْ أَفْعَلَ مِثْلَهُ بَعْدُ، بِسَبَبِ كُلِّ أَرْجَاسِكِ. (*) لأَجْلِ ذلِكَ تَأْكُلُ الآبَاءُ الأَبْنَاءَ فِي وَسْطِكِ، وَالأَبْنَاءُ يَأْكُلُونَ آبَاءَهُمْ. وَأُجْرِي فِيكِ أَحْكَامًا، وَأُذَرِّي بَقِيَّتَكِ كُلَّهَا فِي كُلِّ رِيحٍ.»[1].

ومن ثم فإن هذه النصوص وغيرها تصبح حجة عليهم في غضب الله عليهم بسبب ما فعلوه من الذنوب والمعاصي، وأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام شعبه المختار بسبب ما اقترفوه.

هذا ومن اللافت أن القرآن الكريم قد ورد فيه من الآيات ما يدل ظاهرها على أن الله تعالى قد اختار شعب بني إسرائيل وخصهم على غيرهم من العالمين، تلكم الآيات التي قد يستند إليها اليهود في تدعيم زعمهم بأنهم شهب الله المختار وهم إذ يتمسكون بذلك فقد غاب عنهم معنى تلك الأفضلية الواردة في هذه الآيات وبماذا ارتبطت ؟

من هذه الآيات: قوله - تعالى -: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[2]، وفي سورة الأعراف فيما جاء على لسان موسى قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ

(١) سفر حزقيال ٥/٧ - ١٠.

(٢) سورة البقرة الآية (٤٧).

فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[1]، وفي سورة الجاثية قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[2]، وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[3].

هكذا وصفهم القرآن الكريم بالتفضيل لكن هذا الوصف لا يعد وصفًا مطلقًا «وإنما في حالة إيمانهم وتمسكهم بوحي السماء في وسط كان الناس فيه يعبدون غير الله فقد نشأ موسى في مصر الوثنية التي كانت تعبد فرعون من دون الله، وكذلك كان الكفر والإلحاد يموج بالشام، وبشبه الجزيرة العربية، ففضل الله بني إسرائيل على عالمي زمانهم حيث أرسل فيهم رسلاً يبينون لهم طريق الحق، هكذا كان تفضيل الله لهم لأنهم آمنوا حينًا ببعض الأنبياء، وعرفوا نور الحق في الوقت الذي كان فيه معظم الشعوب معرضه عن عبادة الله»[4].

فهذا التفصيل من قبل الله تعالى لبني إسرائيل على غيرهم كان مشروطًا بطاعة الخالق، وحسن عبادته، وحفظ عهوده فإن تخلف هذا الشرط فلا تفضيل لهم وليسوا شعبًا مختارًا.

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٤٠).

(٢) سورة الجاثية الآية (١٦).

(٣) سورة الدخان الآية (٣٢).

(٤) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية: د/ سعد الدين صالح ص ٢٨٩، دار الصفا، ط الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

كما أن من الواضح أيضًا أن هذا التفضيل كان تفضيل النعمة « بمعنى أن الله سبحانه أغدق على بني إسرائيل كثيرًا من النعم حتى ليمكن عدهم «المدللين» بين أقوام الأنبياء... ولم يكن ذلك إشارة إلى تفضيل الذات كيف؟ وتقريعهم وذمهم في سور عديدة من القرآن متكرر مما يفهم منه أنهم ليسوا شعبًا فوق الشعوب بل هم دون الشعوب، فإن الذي يكفر من كثرة النعم عليه هو أشد استحقاقًا للذم من غيرهم ممن لا يتميزون بذلك، وبذلك نفهم أن ذكر تفضيلهم إنما هو تمهيد لبيان انحطاط ذهنياتهم وروحيتهم ومسلكياتهم، وذلك لأن الصورة التي ستنطبع في الذهن من خلال سور القرآن لكم الانحراف الذي مارسه اليهود ونوعه في التاريخ مع هذا التفضيل هي صورة الاحتقار الحضاري والديني الولاء ..»[1]

ومن ثم فلم يكن هذا التفضيل بسبب العنصر أو العرق أو النوع أو السلالة أو غير ذلك من الدعاوى، والأفكار الباطلة.

يقول رجاء جارودي معلقًا على هذه الفكرة: « وتعتبر فكرة الشعب المختار - صبيانية - من الناحية التاريخية لأن جميع الشعوب قد عبرت في الكتابات التاريخية الصادرة عن تحسسها لتميز خاص بها يصور الواحد منها بأنه هو المختار فلماذا يؤخذ بكتابات شعب ولا يؤخذ بغيرها؟ وكذلك فكرة الشعب المختار أيضًا فهي إجرامية من الناحية السياسية إذ تكرس مشروعية الاعتداء والتوسع والتسلط، كذلك لا يمكن تحمل فكرة الشعب المختار من

(١) أكاذيب التاريخ الكبرى، ص ٦١.

الناحية اللاهوتية إذ أن افتراض وجود «مختارين» يستتبعه وجود «مقصين»[1].

فالفكرة هذه عندما تخضع للنظر العقلي فإنها لا تستند على أي معقول يدعمها إذ لا يعقل أن يكون الله تعالى منحازًا أو متواطئًا مع فئة من مخلوقاته دون غيرها إلا في حالة واحدة هي الحالة التي يصنع فيها الشعب إلهًا يأتمر بأمره ويلبي رغباته وينصاع لجبروت شعبه تمامًا كما هو الشأن لدى اليهود.

ثانيًا: فكرة النقاء العرقي اليهودي:

تأسيًا مع فكرة الشعب المختار السابق ذكرها ذهب الفكر اليهودي نحو تبني فكرة النقاء العرقي [*] تلك الفكرة التي تسببت بدورها في تزكية نزعة الاستعلاء العنصري في هذا الفكر.

ومؤدى هذه الفكرة « أن أفراد جماعة معينة يختلفون عن غيرهم من أفراد الجماعات الأخرى من حيث نقاؤهم وراثيًا أي جميعًا لم يواجهوا ما واجهه غيرهم من تداخل بين السلالات المختلفة »[2].

---

(١) قضية إسرائيل: روجيه جارودي، ترجمة / نزيه الشوفي، ص ٧٣، بدون.

(*) يعد أول من قال بهذه النظرية العنصرية العالم الألماني «مومسن» وشاركه فيها العالم الفرنسي «غوبينو» والإنجليزي «تشمبرلن» ثم جاء بعده الفيلسوف الألماني «فيخته» وقد أضحت هذه النظرية مرتكزًا للحركة النازية في ألمانيا بعد ذلك، ولقد استخدمت الصهيونية هذه النظرية لتدبير نقل الشعب اليهودي المنبوذ من أوروبا، ولتسويغ إبادة السكان الأصليين ليحل أعضاء هذا الشعب محلهم.
(انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١١٧/٧).

(٢) الإسرائيليون من هم ؟: سلسلة دراسات نفسية: قدري حنفي ص ١٧٩ مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١٩٨٣م.

ومن هنا تبرز كما في تفسير د/ عبد الوهاب المسيري «أهمية الاختلافات العرقية - لون الجلد، حجم الرأس وغيرها - معيارًا للتفرقة بين البشر»[(١)].

وهذا بدوره يشكل مضمون الاستعلاء العنصري في هذا الفكر بمعنى أنه إذا ما جرى التسليم بنقاء تلك الجماعة من حيث وراثة الخصائص البدنية فالأدعى وذلك هو الهدف عادة أن يجري التسليم بنقائها، كذلك من حيث القدرات العقلية، والخصائص النفسية، وسائر القدرات البشرية التي يتميزون بها عن غيرهم من أبناء الأمم والشعوب الأخرى والتي تؤدي بهم إلى الرغبة في الإبداع، وصياغة الأفكار الجديدة، والوقوف في وجه الأفكار القديمة[(٢)].

والشيء الجدير بالملاحظة هنا أن هذه الفكرة بدورها وكسابقتها قد استمدت من مصدرين أساسيين:

الأول: وهو المصدر الداخلي والمتعلق بالديانة اليهودية، والتي - في زعمهم - قد صانت نقاؤهم العنصري وهويتهم كما عملت على «ترسيخ فكرة استعلاء اليهود ونظرتهم إلى أنفسهم نظرة السيد لدى من عداهم من الناس»[(٣)]، ويمكن أن نتلمس بجلاء هذه الفكرة من خلال مطالعة

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١١٧/٧.

(٢) انظر: الاتجاهات التعصبية: معتز سيد عبد الله ص ١٣٧، سلسلة عالم المعرفة (١٣٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ط ١٩٨٩م.

(٣) التراث الصهيوني اليهودي والفكر الفرويدي: صبري جريس، ص ٧٩، ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٠م.

النصوص المقدسة لدى اليهود والتي تتكرر من خلالها هذه الفكرة أكثر من مرة.

ففي العهد القديم على سبيل المثال نجد ذلك واضحًا من خلال النصوص الآتية:

ففي مزامير داوود نطالع: « اَلرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَّهُ، وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ»[١].

وفي سفر أشعيا يطالعنا بقوله: « وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعَوْنَ غَنَمَكُمْ، وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. (*) أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ، تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ، وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ»[٢].

وفيه أيضًا: « لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ. (*) لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرَبُ الأُمَمُ»[٣].

وقد ترددت أصداء هذه الفكرة في العهد القديم ترددت أصداؤها أيضًا في التلمود تأكيدًا على نزعة التعالي العنصرية، فقد جاء في أحد كتب المدراش: تأكيد على هذه النزعة الاستعلائية العنصرية: «حينما تنفذ يسرائيل إرادة فإنها تضيف إلى إرادة الإله في الأعالي وحينما تعصي يسرائيل إرادة الإله فإنها تضعف القوة العظمى للإله في الأعالي»[٤] .

---

(١) مزامير داوود ١٠٣/١٩.

(٢) سفر أشعيا ٦١/٥ - ٦.

(٣) سفر أشعيا ٦٠/ ١١ - ١٢.

(٤) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٥/٣٧.

وأيضًا من خلال القول بأن « أرواح اليهود عزيزة عند الله مقارنة بباقي الأرواح؛ لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات... الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب»[١] .

كما تظهر هذه الخصوصية الاستعلائية عندما يستخدم الحمَّام الطقوسي لتطهير الأوعية التي صنعها غير اليهود.. حيث يتعين على المرأة اليهودية أن تتخذ حمامًا طقوسيًا بعد العادة الشهرية وعليها وهي في طريقها إلى المنزل أن تحذر من مقابلة فرد من الأغيار أو خنزير أو كلب أو حمار، وإن قابلت أيًا منها فعليها أن تغير طريقها لأنه سينجسها مرة أخرى»[٢] .

الثاني: وهو مصدر خارجي: فبالإضافة إلى الديانة اليهودية والتي شكلت المصدر الداخلي لفكرة النقاء العرقي لدى هؤلاء اليهود هناك أيضًا المصدر الخارجي وهو المصدر المتمثل بالفكر الألماني وخصوصًا فلسفة «نيتشه » تلك الفلسفة التي أكدت على رفض المساواة بين الأعراق والذي كتب ضمن هذا السياق قائلاً: « العرق السائد يجب أن يكون في القمة وإلا فمصيره الدمار»[٣].

---

(١) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٦٠.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٤٤/٥، الأصولية اليهودية في إسرائيل: إسرائيل شاحاك وفورتون ميز فينسكي، ترجمة / ناصر عفيفي ٤٢/٢، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٤م.

(٣) نيتشه: د/ عبد الرحمن بدوي، سلسلة الفلاسفة (١) ص ١٦٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦م هذا وقد طرح نيتشه فكرة النقاء العرقي لأجل إثبات تفوق الشعب =

فقد اجتذبت هذه الفكرة وغيرها الكثير من مفكري اليهود فظهرت واضحة في أطروحاتهم التي تؤكد المزاعم الصهيونية في تشكيل قوام ذاتي ثابت عبر الزمان، وفي المستقبل ينفرد به اليهود في استقلال تام بذاته غير مشروط بالآخرين.

فها هو « آحاد هاعام» يؤكد على تفاضل الأمم وأهمية هذا التفاضل في تقدم البشر من خلال القول: « يجب أن يكون هناك شعب واحد يتمتع بمميزات أصيلة فيه تجعله أكثر صلاحًا من غيره في تطوره الأخلاقي، ويتبع أسلوبًا في الحياة يخضع لقانون أخلاقي أرقى من الأخلاقيات الشائعة مما يعطي ذلك الشعب الحاجات المثالية للوصول إلى الإنسان الأرقى الذي نريده»[1].

كذلك أيضًا ترددت هذه الفكرة - النقاء العرقي - في كتابات « موسى هس»[*] والذي يعدُ أول من قدم تعريفًا لليهود على أساس عنصري حين قال: « إن العرق اليهودي من الأعراق الرئيسة في الجنس البشري، وأن هذا العرق حافظ على وحدته مع التأثيرات المناخية فيه فحافظت اليهودية على نقاوتها

=

الآري وسيادته على كل الشعوب وصولاً إلى فكرة السوبر أمة، أو الأمة الأعلى (انظر في ذلك: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٤١٦/٢).

(١) الجذور التاريخية للعنصرية اليهودية: خالد القشطيني ص ٨٢.

(*) موسى هس (١٨١٢ - ١٨٧٥م) مفكر اجتماعي ألماني وهو مؤسس الفكرة الصهيونية في دباجتها الاشتراكية. (انظر: معجم المصطلحات الصهيونية: إفرايم ومناحيم تلمي، ترجمة / أحمد بركات ص ١٣٩، دار الجيل للنشر - عمان - الأردن ١٩٨٨م.

عبر العصور»[١].

كما اعتبر أن هذا الاستقلال ليس مزودًا فحسب بقوة الإله، ولكنه اكتسب صفاته وخصوصيته المقدسة فهو شمس الشعوب الذي انيطت به مهمة إنقاذ العالم وإرشاد الناس إلى الخير والسلام [٢].

ومن ثمَّ فهو يرى نفسه - تبعًا لهذا الزعم - أنه « ينتمي إلى شعب تربطه صلة الدم الذي لا يمكن لأي تحول في العقيدة أن يضعفها، وريثًا لماضي هذا الشعب، ووكيلاً لهذا الشعب لدى المستقبل السياسي، إنه ينتمي لعرق، ينتمي لأمة ويسعى لإقامة مملكة فوق هذه الأرض مملكة ستفوق كل الممالك، ويصبح لمدينة أورشليم السيادة على العالم »[٣].

أما هرتزل[*] فلم تغب عن ذهنه فكرة النقاء العرقي إذ حاول بدوره تبني

---

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢٧/٢. مملكة داوود وسليمان العبرية أوهام لا تنتهي ص ٦٣، ٦٤.

(٢) التعصب في الفكر الصهيوني ص ٧٩. مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى د / أمين عبد الله محمود ص ٢٨ سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٨٤م.

(٣) اليهودي العالمي، المملكة اليهودية نظرة أمريكية: هنري فورد، ترجمة / بدر الرفاعي ٢٨/٢ مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٣م.

(*) ثيو دور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤م) مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة والأب الروحي لها، ولد بمدينة بودابست عاش مع أسرته في فيينا منذ عام ١٨٧٨م، وفي منتصف عام ١٨٩٥م شهدت حياته ذلك التحول الذي أدى به إلى تأسيس المسألة اليهودية وتزعم الدعوة الصهيونية الحديثة، وفي مطلع عام ١٨٩٦م أصدرت الطبعة الأولى من كراس

هوية عنصرية جماعية لليهود من خلال ترديده لعبارات العنصر اليهودي وارتقاء العنصر اليهودي ليؤكد معتقده في الحتمية البيولوجية المتوفرة في اليهود[1].

كما وصف العالم الصهيوني «اغناتز زولتشان » (١٨٧٧ - ١٩٤٨م) في محاولة منه لإثبات النقاء العرقي لليهود بأنهم - اليهود - «أمة من الدم الخالص لا تشوبها أمراض التطرف أو الانحلال الخلقي الناجمة عن عدم النقاء ».

أما عالم الاجتماع الصهيوني «آرثر روبين» فقد قدم تعريفًا عرقيًا لليهود بين فيه أنهم بالرغم من كونهم قد «استوعبوا عناصر عرقية أجنبية بدرجة محدودة ولكنهم في أكثرهم يمثلون جنسًا متميزًا على عكس ما هو سائد في وسط أوروبا »[2].

أما « سوكولوف » أحد زعماء الصهيونية فقد قال: « ليس ثمة أجناس نقية نقاوة مطلقة لكن اليهود دونما ريب أنقى أمة بين الأمم المتمدنة في

(الدولة اليهودية) محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية بالاتفاق الدولي وهو أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية، توفى في ١٩٠٤/٧/٣م، في فيينا.

(معجم المصطلحات الصهيونية ص ١٥٤، ١٥٥، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني: جمع وإعداد / سمير أيوب ١١٦/١، دار حامد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ط ١٩٨٤م).

(١) التعصب في الفكر الصهيوني ص ٧٩.

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١٩/٢، ٦٧.

العالم »[1].

وهكذا تتضح تلك المعالم الأسطورية المزعومة لنقاء هذا العنصر في كونه شخصية فائقة تلك الشخصية التي قد «تفوق الواقع وقد تفوق الشيء المعقول إنها شخصية خارقة - كما تدعي - ذات جلال رائع وقوة غير مألوفة قادرة على تحدي الزمن، كما أنها تتميز بتكوين فريد له كماله وعمق مدلوله»[2].

ومن ثم تتحقق مزاعم التفرد والنقاء ويتحقق الاستعلاء المزعوم، وعلى وفق فكرة النقاء العرقي المزعوم فقد انقسم الناس في نظر اليهود إلى قسمين: الشعب اليهودي المختار، ودمهم نقي طاهر، وهو القسم الأول من البشر.

أما القسم الثاني: فهم «الجويم »[*] أي غير اليهود من جميع الأمم فهم

---

(١) الصهيونية حذار «دراسة سوفيتية في تاريخ وتنظيم وأيدلوجية الحركة الصهيونية»: يوري أيفانوف، ترجمة / ماهر عسل ص ٥٨، دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٩م.

(٢) انظر: الأسطورة فجر الإبداع الإنساني: د/ كارم محمود عبد العزيز ص ١٠٢، سلسلة الدراسات الشعبية رقم (١٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٢م.

(*) الجويم: كلمة عبرية مفردها (جوى) وأصل اشتقاق الكلمة غير معروف، ويرى بعض العلماء أنها جاءت من أصول غير سامية قديمة جدًا واستخدمها العبريون في العصور القديمة بمعنى الهوام والحشرات التي تزحف في جموع كبيرة مكررة مرتين للتهويل فكانوا يقولون: «جوى جوى» وقد خصصتها العنصرية اليهودية منذ القدم للإشارة إلى الناس جميعًا من غير بني إسرائيل، وقد توسع أحبار اليهود في مدلول الكلمة فأضافوا معنى القذارة المادية والروحية، والكفر وأصبحت بمنزلة سبة تلصق باليهودي الذي يتعدى حدود الدين. (انظر: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص٢٩،٣٥).

في رأي اليهود العبيد ذوو الدم النجس وأصبح من عقيدتهم أن الأرض التي يقيم عليها اليهود أرض طاهرة والأرض التي يقيم عليها «الجويم » أرض نجسة[١].

ويبدو أن فكرة النقاء العرقي لليهود قد قادت بدورها إلى الإيمان بفكرة التفوق اليهودي الأمر الذي حدا بالمفكرين الصهاينة إلى تصوير الناس الذين هم من أصل يهودي بأنهم شعب متفوق (سوبر مان) يمتلك مزايا أخلاقية وذهنية وروحية لا يمكن أن تصل إليها البشرية أجمعها [٢].

وفي مقابل هذا التفوق العنصري والعرقي لليهود تطرح الصهيونية فكرة التخلف العربي العرقي للإنسان العربي عامة والفلسطيني خاصة والذي لا يستحق سوى الطرد أو الإبادة [٣].

فهذان وجهان أساسيان للاستعلاء والتعصب العنصري لدى هؤلاء فهم يؤمنون بأنهم أنقى الشعوب من حيث الوراثة، وما يترتب على ذلك من تميز في مختلف القدرات والخصال الشخصية، وفي الوقت نفسه يؤمنون بأن من عداهم يتسمون بالانحطاط والتخلف وغيرها من السمات التي تقترب بهم من مستوى الحيوانات الدنيا، فمن سلم بنقاء شعبه يسلم كذلك بدونية الشعوب الأخرى التي يظن أنها تعاديه وانحطاطها.

وهذه الاستثنائية التي خص بها بنو إسرائيل أنفسهم قد انعكست على

---

(١) التعصب في الفكر الصهيوني ص ٧٩.

(٢) انظر: الاتجاهات التعصبية ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٣) السابق ص ٢٤٢.

علاقاتهم بغيرهم من الشعوب منذ القدم وبالتالي فهم يرون أن علاقاتهم مع الآخرين لا بد وأن تكون للفوقية اليهودية فيها دور كبير واضعين نصب أعينهم مطامعهم ومصالحهم أولاً.

ولا شك أن هذا التفضيل ليس من حكمة الله في خلقه التي بينها - سبحانه وتعالى - وإنما هو أمر دنيوي بشري كتبه ودعمه بنو إسرائيل.

وهذا ما دفع «كوهن» في كتابه التلمود أن يقول: «من الطبيعي في أدب ألفه اليهود واختص بهم أن تعطي الأولوية لشعب إسرائيل (اليهود) بالحقيقة يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل والأمم الأخرى كلية إسرائيل هي الشعب المختار عقيدة رئيسية إنها بالطبع عقيدة توراتية غير أن الحاخامات قاموا بتضخيمها إلى درجة كبيرة جدًا[1].

ونتيجة لهذا التضخيم أصبح هؤلاء يظنون أنهم الشعب المختار وأن من يقف ضدهم فإنما يقف ضد إرادة الله ويتمرد على مشيئته الذي يصيرهم حراسًا لله في أرضه.

وهذا الاختيار كما في تصر «كوهن» لم يكن اختيارًا اعتباطيًا وحتى لا توجد إمكانية لوصف الله بالمحاباة يروي تقليد أن التوراة قد أعطيت لجميع الأمم وإسرائيل وحدها قبلت بها [2].

وهكذا فإن القبول الأوحد من إسرائيل للتوراة، وتعاليمها جعلهم عند

(١) انظر: التلمود: أ. كوهن، ترجمة / سليم طنوس ص ١١٣، دار الخيال بيروت - لبنان ط ٢٠٠٥م.

(٢) السابق ص ١١٥.

الله تعالى هم الشعب المختار - كما يدعون - كما لو أن الله تعالى لم يخلق أناسًا غيرهم، أو أنهم يتميزون عن غيرهم بميزات، من المتعذر وجودها في غيرهم من الشعوب، ومن ثم يرون أنفسهم أنهم يتفوقون على غيرهم.

ولا شك أن فكرة هذا النقاء العرقي المزعوم هذا الوهم التاريخي الذي أحاط به هؤلاء القوم أنفسهم لا يقوم على دليل وإنما هو مجرد اعتقاد بأن كل ما هو يهودي الآن يعود إلى أصل واحد وعرق واحد، كما سبقت الإشارة إليه، في تصور مؤرخهم الصهيوني «ناحوم سوكولوف» الذي يعتبر أن اليهود يمثلون أنقى عرق وأعرق أمة بين جميع الأمم المتمدنة.

ولو عدنا إلى التاريخ لوجدنا أن هذه الخرافة لا أساس لها من الصحة فمنذ خروج بني إسرائيل من مصر، قال الله تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾ [1].

وسواء كانت هذه الذرية من بني إسرائيل أو من قوم فرعون على خلاف بين المفسرين[2].

(١) سورة يونس من الآية (٨٣).

(٢) انظر تفصيل ذلك على سبيل المثال في (جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (٢٢٤هـ - ٣١٠هـ) تحقيق/ أحمد محمد شاكر ١٦٤/١٥، ١٦٥ مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) تحقيق / مجدي باسوم ٧٥/٦، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٠م.، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (٧١٠هـ) خرج أحاديثه يوسف علي

فهي تتناقض مع مقولة نقاء شعب إسرائيل لأن من لم يؤمن من بني إسرائيل في ذلك الوقت قد بقي في مصر وهؤلاء اختلطوا بالمصريين وتزوجوا منهم فاختلطت الأنساب مع بعضها، وأصبحوا يشكلون جماعة إسرائيلية مختلطة في مصر فيما بعد.

وإن كانوا من قوم فرعون فهم أصلاً ليسوا من بني إسرائيل، ولكنهم آمنوا بموسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ورسالته، وخرجوا معه عندما خرج من مصر، وأصبحوا يشكلون جزءًا لا يتجزأ من بني إسرائيل أيضًا من ناحية أخرى.

قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (١)، وأيضًا: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُون﴾ (٢).

وهكذا آمن سحرة فرعون بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ورسالته، وبالتأكيد فهؤلاء السحرة ليسوا من بني إسرائيل، وقد هرب بعضهم من مصر مع موسى -

=

بديوي، راجعه وقدم له / محيي الدين ديب ٣٦/٢، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٨م.، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الكشاف) أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) ٣٦٣/٢، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ٢٨٨/١٧، ٢٨٩، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

(١) سورة طه الآية (٧٠).

(٢) سورة الشعراء الآيات ٤٦ - ٤٨)، وسورة الأعراف الآيتان (١٢٠، ١٢١).

عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - وانتسبوا فيما بعد إلى بني إسرائيل.

وفي القرآن الكريم نقرأ أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ آلِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَانَهُۥٓ ﴾[1]، وهذا رجل آخر من جماعة فرعون آمن بموسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - وكتم إيمانه وقد يكون مثله عشرات أو مئات ولا شك في أن عددًا منهم قد هاجر مع من هاجر وأصبح منهم.

ولو عدنا إلى العهد القديم لوجدناه يؤكد ذلك ضمنيًا عند قوله: «فارتحل بنو إسرائيل..... وَصَعِدَ مَعَهُمْ لَفِيفٌ كَثِيرٌ أَيْضًا»[2]، ولا شك أن هذا اللفيف قد انضم إليه عدد من غير بني إسرائيل ولكنهم آمنوا بموسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - الأمر الذي دفع بـ«غوستاف لوبون» إلى نفي أن يكون بنو إسرائيل الخارجون من مصر بقيادة موسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - أبناء نسل واحد في قوله: «ولحق بني إسرائيل عدد من المصريين الساخطين ومن الأسارى ومن العبيد المتمردين ولما جاوز بنو إسرائيل بحر القلزم بجوا عشيرة أي جماعة مصره على الظهور بأنها نسل رجل واحد وإن كانت فاتحة صفوفها بالحقيقة لجميع الفرار المستبعدين لانتحال اسمها، وتقاليدها ومعبوداتها الأهلية »[3].

كما أن تاريخ أسفارهم يتحدث عن وجود تهود طوعي وقسري حصل لبعض الشعوب منذ القدم، والذين لا ينتمون بأصولهم العرقية إلى الأسباط

---

(١) سورة غافر الآية (٢٨).

(٢) انظر: سفر الخروج ٣٧/١٢، ٣٨.

(٣) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: غوستاف لوبون، ترجمة / عادل زعيتر ص ٣٦، ط وكالة الصحافة العربية بالقاهرة ٢٠١٨م.

كما هو واضح في أسفار (عزرا)[١] و(نحميا)[٢] و(استير)[٣]، و(زكريا)[٤] و(القضاة)[٥].

وكذلك من خلال «التشتت الذي لاحق بني إسرائيل على مر العصور لسوء فعلهم وكثرة دسائسهم فقد ساعد ذلك على انتشار اليهودية في بؤر متعددة من العالم، ومنها شعوب الخزر الذين بعيدون كل البعد عن سلالة إبراهيم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -، وفيما بعد في العصور الرومانية قام كثير من المبشرين اليهود بنشر الديانة اليهودية في بعض أرجاء الإمبراطورية، وما حصل ليهود الخزر أكبر دليل على أن اليهودية ما دخلت بلادهم إلا عن طريق التبشير اليهودي، كما كان جامعوا الضرائب اليهود في أوروبا في القرون الوسطى يستغلون وظائفهم في نشر اليهودية بين السكان مقابل التساهل معهم في الضرائب المفروضة عليهم »[٦].

---

(١) عزرا ١/٩ - ٣، وسفر التكوين ٣٤/٢٦، ٨/٤٨ - ٢٠.

(٢) نحميا ٢٣/١٣ - ٢٥.

(٣) استير ١٧/٩، وفيه: « وفي كل بلاد ومدينة كل مكان وصل إليه كلام الملك وأمره كان فرح وبهجه عند اليهود وولائم ويوم طيب وكثير من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم ».

(٤) زكريا ١٠/٢ - ١١ وفيه: « ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هآنذا آتي واسكن في وسطك يقول الرب فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبًا فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك ».

(٥) القضاة ٥/٣، ٦.

(٦) انظر: الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم ص ٢٧٠.

ومما تجدر الإشارة إليه أن فكرة النقاء العرقي اليهودي قد واجهت الكثير من الانتقادات العلمية وخاصة من علماء الأجناس والسلالات البشرية والذين توصلوا بعد بحثهم العلمي الدقيق إلى أن اليهود اليوم لا ينتمون جميعًا إلى سلالة جنسية واحدة هي سلالة بني إسرائيل التي تتحدث عنها التوراة، فلو كانوا سلالة جنسية واحدة لكانوا جميعًا وفي جميع أنحاء العالم يختصون بصفات جسدية واحدة شكل الشعر والوجه والأنف، ولون الشعر والعين والبشرة وطول القامة فإذا ما جرى النظر إلى اليهود اليوم في مختلف أنحاء العالم لوجدنا بينهم الشقر ذوي العيون الزرقاء والشعر الأصفر، كما نرى بينهم السمر ذوي الشعر المجعد في هضبة الحبشة، والسود في جنوب الهند، والصفر المنغوليين في الصين ولرأينا بينهم طوال القامة، وقصار القامة، كما نرى فيهم ذوي الرؤوس العريضة، وذوي الرؤوس المستطيلة[1].

فاليهود بناءً على ذلك هم خليط من أجناس مختلفة منهم كما يقول العالم الأمريكي «هاري شابيرو »: « ليسوا أسرة ولا قبيلة ولا أمة بالمعنى الصارم للكلمة... إنه لأمر غريب أن اليهود يعتبرون - غالبًا - وقد بذل جهد كبير للبرهنة على أنهم - عرق متميز.... والمقارنة البيولوجية.... تبرهن على أن المتطلبات الأساسية لأي دعوى بأن اليهود يشكلون ذاتية عرقية لا يمكن تلبيتها على الأقل بالمقاييس التقليدية المتخذة أساسًا في التصنيف

(١) انظر: الصهيونية وربيبتها إسرائيل: عمر رشدي ص ٨٠، دار القلم - بيروت ط ١٩٨٥م. هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين ؟: يوسف أيوب الحداد ١١٠/٢، ١١١، بيان للنشر والتوزيع بيروت - لبنان بدون.

العرقي»[1].

وكما يقول رينان.... « لا يجوز حتى الحديث عن هذا فقد تعرض اليهود للتمازج مع الشعوب الأخرى بنفس القدر الذي تعرضت له الأجناس الأخرى»[2].

كذلك ينقل د/ عبد المجيد همو عن «جورج متري» قوله: «ليس اليهود شعبًا، وليس لهم قوام متجانس إنهم قبائل، والعسير التكلم عن موطنهم الأصلي لأنهم كانوا رحلاً فلا وطن لهم »[3].

ولم تكن تلك الحقيقة بمنأى عن الكثير من علماء اليهود أنفسهم الذين اعترفوا بها صراحة فها هو «جيروفيتش» أستاذ الأجناس في الجامعة العبرية وعميد كلية الطب فيها من خلال تجاربه التي قام بها منذ سنوات على المهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى إسرائيل من أنحاء العالم المختلفة والتي كان القصد منها هو فحص دماء هؤلاء المهاجرين اليهود، حيث أسفرت هذه التجارب إلى حقيقة أن اليهود ليسوا شعبًا بل طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس، اعتنقوا دينًا واحدًا وأن مقدارًا ضئيلاً جدًا من يهود الأقطار العربية هم من نسل يعقوب وإسحاق وأن يهود أوروبا الشرقية لا ينتمون أبدًا

(١) هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين ؟ ص ١١٠.

(٢) أوهام التاريخ اليهودي: جودت السعد ص ٢٦٠، الأهلية للنشر والتوزيع - عمان - الأردن ط ١٩٩٨م.

(٣) ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟: د/ عبد المجيد همو ص ٧٤، الأوائل للنشر والتوزيع - دمشق - سوريا ٢٠٠٣م.

إلى الفصيلة اليهودية[1].

بل إن الكاتب اليهودي « إبرهام ليون» ليذهب إلى ما هو أبعد مما ذهب إليه غيره من خلال قوله: «إن اليهود يشكلون حقيقة خليطًا عرقيًا متنافرًا والسبب الرئيسي في ذلك هو التشتت الملازم لليهودية، وحتى في فلسطين كان اليهود بعيدين عن تشكيل عرق صاف»[2].

وإذا كانت مرويات العهد القديم من أجل اختلاق الأصول لبني إسرائيل تسرد أنباء نوح وسام حتى تصل إلى إبراهيم - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - في عائلة طويلة من الأصول بهدف إثبات نقاء الشعب الإسرائيلي فإن هذه العائلة لا تخلو في نظر البعض من التزوير، ولكن الغرض منها واضح كما أشار إلى ذلك الحاخام اليهودي «مرجنشترن» بقوله: «والغرض من شجرة العائلة هذه التي أوردها الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين وفي إصحاحات أخرى سابقة تعقب أصول إبراهام الأب التقليدي لإسرائيل وانحداره من آدم، وتبين التوراة على وجه الخصوص أن إبراهام وبالتالي إسرائيل أيضًا انحدرا من الإنسان الأول، وفي خط مباشر من الابن البكر، وأن شعب إسرائيل تبعًا لذلك يمثل صفوة الجنس البشري...».

ثم يعلق قائلاً: « وقد كان ذلك ضربًا من الغرور القومي الساذج في

---

(١) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٣١ - ٣٢. الإدعاءات الصهيونية والرد عليها: حسين عبد الحميد أحمد رشوان ص ٢٤، ٢٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م.

(٢) اليهود والتحالف مع الأقوياء: نعمان عبد الرازق السامرائي ص ١٥٢، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع - لندن ١٩٩٩م.

إسرائيل القديمة...» [١].

وليس غريبًا بعد هذا أن يأتي اعتراف عضو الكنيست الإسرائيلي «أوري أفنيري» بقوله: « من المعروف أن اليهود لا يشكلون أمة واحدة، ولا يكونون مجموعة قومية أو عرقية، وليس هناك خليط عرقي متجانس، ولا وجود لجنس يهودي مميز، وإنما هم من جميع الأجناس حتى الزنوج والمغوليين، وليس لهم لغة واحدة بل يتكلمون لغات الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، وليس لليهود عادات مشتركة، وتاريخ مشترك فسلوكهم يعكس تقاليد وعادات المجتمعات في أوطانهم الأصلية». [٢]

كما يعترف بذلك أيضًا المفكر اليهودي « يوسف حاييم برنر» الذي يقول بدوره: «كل ما نعرفه عن حياتنا يشير إلى أن الجماهير اليهودية ليس لها السمة الاجتماعية بالمعنى السوسيولوجي، ونحن لسنا شعبًا مترابط الأجزاء»[٣].

ولا شك أن مثل هذه النظرات العلمية المجردة يفرض العقل والمنطق صوابها وصحتها، ذلك أن أصحاب الشرائع السماوية وغيرها لا تجمعهم سوى رابطة الدين، ولا يعودون بأصلهم إلى أصل واحد سوى الإنسان الأول

(١) قراءة سياسية في التوراة: شفيق مقار ص ٢٠٢، رياض الريس للكتب والنشر لندن ١٩٩١م.

(٢) التاريخ الحقيقي لليهود: نجيب زبيب ص ٤٢، دار الهادي، بيروت – لبنان ٢٠٠٢م.

(٣) أوهام التاريخ اليهودي ص ٢٦١،الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم ص ٢٢٦.

- آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - أصل كل الأصول.

فالمسيحيون مثلاً ينتسبون إلى أعراق ودماء متعددة وأصول متباينة، وكذلك المسلمون أمم منتشرة في شتى بقاع الأرض، وذلك شأن أصحاب المذاهب والعقائد الأخرى لكن يبدو أن فكرة النقاء العرقي والتفوق العنصري لا تعدو أن تكون مجرد أسطورة دعا إليها هؤلاء وآمن بها المؤيدون والمنحازون دون دليل أو برهان.

فبالرغم من هذه الحقائق السابقة، وغيرها ما زال هناك من يتمسك ويصر على وحدة العرق اليهودي ونقاءه، وأنهم ينحدرون من سلالة الأسباط الإثني عشر الذين لم يعد لهم وجود بعد انقضاء التيه.

وهذا يعد دليلاً مهمًا على نزعة الاستعلاء العنصري في هذا الفكر فمع وجود الأدلة العلمية التي تثبت خطأ الفكرة نجدهم يتمسكون بها حتى أنهم لا يستطيعون أن يتقبلوا سواها... !.

المبحث الثاني
المسببات النفسية

أولاً: عقدة الاضطهاد:

من بين الأسباب النفسية التي كان لها الأثر البالغ في تعميق عقدة الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي الصهيوني تأتي عقدة الاضطهاد حيث يجمع المفكرون الصهاينة على اختلاف آرائهم، وتباين مجالات اجتماعاتهم على أن اليهود مضطهدون.

فاليهودي يعيش، ولديه الشعور بالاضطهاد، وتخيله أن ما يحل به من مشكلات في علاقته بالأمم الأخرى إنما يرجع إلى أنه يهودي وأن الأشخاص الآخرون يكرهونه لهذا السبب، ويحقدون عليه، ويسعون دائمًا لإيذائه[1].

وتعد هذه الصفة لازمة دائمًا بل إن المتصفح لما تضمنته الأناشيد اليهودية المنسوبة إلى النبي داود - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - يجدها تفصح عن ذلك بوضوح والتي جاء في بعضها على سبيل الاستشهاد ما يلي:

« إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟ (*) انْظُرْ وَاسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ إِلهِي»[2] وأيضًا: «وَأَمَّا أَعْدَائِي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَالَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي ظُلْمًا كَثُرُوا» [3]،

(١) الاتجاهات التعصبية ص ٢٤٦.

(٢) مزامير داوود ٣/١٨.

(٣) مزامير داوود ١٩/٢٨.

وفيها: « خَاصِمْ يَا رَبُّ مُخَاصِمِيَّ. قَاتِلْ مُقَاتِلِيَّ. (*)أَمْسِكْ مِجَنًّا وَتُرْسًا وَانْهَضْ إِلَى مَعُونَتِي، (*)وَأَشْرِعْ رُمْحًا وَصُدَّ تِلْقَاءَ مُطَارِدِيَّ»[1].

ومن ثم فقد أصبح هناك اعتقاد لدى اليهود هذا الاعتقاد مفاده: « أن حياة النفي وحياة التشرد التي يحياها هذا الشعب إنما هي عقاب فرضته القوة الإلهية عليهم، وزعم اليهود أن هذا العقاب لن يمحى إلا بمعجزة من السماء وواجب اليهود أن يظلوا صابرين حتى تأتي رحمة الله [2] .

وذلك بسبب تركهم لوصايا الرب، وعمل الأمور القبيحة التي تغضبه، إضافة إلى نزعة العصيان التي دفعتهم إلى التقلب بين عبادة الرَّب إله إسرائيل وعبادة غيره من الأرباب[3].

في ضوء ما تصوره أسفارهم المقدسة ففي سفر الملوك نطالع على سبيل المثال: «وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِرًّا ضِدَّ الرَّبِّ إِلهِهِمْ أُمُورًا لَيْسَتْ بِمُسْتَقِيمَةٍ»[4]، وفيه: « وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ الَّتِي قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ عَنْهَا: لاَ تَعْمَلُوا هذَا الأَمْرَ»[5]، وكذلك: « وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَآلِهَةَ أَرَامَ وَآلِهَةَ صِيدُونَ وَآلِهَةَ مُوآبَ وَآلِهَةَ بَنِي

(١) مزامير داوود ١/٣٥ - ٣.

(٢) انظر: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية: علي حسين الخربوطلي ص ١٢٨، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٩م.

(٣) انظر: حكاية اليهود: زكريا حجاوي ص ٢٢٣ - ٢٢٥، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ط ١٩٦٨م.

(٤) سفر الملوك الثاني ٩/١٧.

(٥) سفر الملوك الثاني ١٢/١٧.

عَمُّونَ وَآلِهَةَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ» [(١)]، وأيضًا: « وَتَرَكُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِهِمْ....، وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْدِ السَّمَاءِ»[(٢)].

والذي ترتب على ذلك غضب الرَّب عليهم وعقابهم كما في تصوير الأسفار، «فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَّاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ.... فَسُبِيَ إِسْرَائِيلُ مِنْ أَرْضِهِ إِلَى أَشُّورَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ.»[(٣)]

بالإضافة إلى ذلك فقد كان للصراع بين المسيحية واليهودية أثره البالغ في تنمية عقدة الشعور بالاضطهاد لدى اليهود.

فاليهودية بعد تحريفها أصبحت تركز على المادة بينما المسيحية نظرت إلى معنويات الحياة كالعبادة والزهد، وفعل الخير نظرة احترام وتقدير، وكانت المسيحية تدعو إلى الإعراض عن الدنيا والاعتراف بالآخرة والثواب والعقاب بينما يثير اليهود الشك في هذه المواضع.

ودعت المسيحية إلى الترفق بالإنسان بينما اليهود دأبهم الشدة والطمع، ونادت المسيحية بأخوة أبناء المجتمع البشري بينما اليهود يضعون أنفسهم فوق سائر الشعوب، ونادى المسيحيون بأن الله هو رب العالمين لا رب المسيحيين فقط، بينما اعتقد اليهود أن يهوه[(*)] أي الله هو إلههم وحدهم،

---

(١) سفر القضاة ٦/١٠.

(٢) سفر الملوك الثاني ١٦/١٧.

(٣) سفر الملوك الثاني ١٨/١٧ - ٢٣.

(*) يهوه: أشهر أسماء الخالق وأقدسها لدى اليهود، وهو اسم كما يقول الأستاذ العقاد لا يعرف اشتقاقه على وجه التحقيق فيصح أن يكون من مادة الحياة، ويصح أن يكون نداءً =

وتدعو المسيحية إلى التسامح والعفو، بينما يسعى اليهود للعفو بالمقايضة والارتشاء، ودعت المسيحية إلى احترام الحق العام بترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله، بينما لا يخدم اليهود إلا حقوق طائفتهم فقط[1]. هذا **أولاً**.

أما ثانيًا: فقد أدت الحجة اللاهوتية التي آمن بها المسيحيون عملاً كبيرًا في اضطهادهم لليهود، وهي أن اليهود هم الذين قاموا بصلب المسيح وقتله، وتم رفضه مخلصًا للبشر، ولهذا اعتقد المسيحيون بأنه لا بد لليهود من العذاب في هذه الدنيا جزاءً لهم على أعمالهم [2].

وبالإضافة إلى ذلك فقد أبدى اليهود عداءهم للإسلام منذ أول ظهوره، فقد أدركوا أنه دين جديد ينافس عقيدتهم اليهودية، ويضيف منافسًا جديدًا إلى اليهودية من المسيحية في الزعامة الدينية في الجزيرة العربية[3].

ومن ثم فقد استعمل اليهود عدة وسائل لمحاربة الدعوى الإسلامية، منها إشاعة الفتن والتفريق بين المسلمين والتشكيك في دين الإسلام، وإثارة

=

لضمير الغائب أي « يا هو » لأن بني إسرائيل كانوا يتقون ذكره توقيرًا له، ويكتفون بالإشارة إليه، ويصح غير ذلك من الفروق.

(انظر: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: روجية جارودي، تقديم / محمد حسنين هيكل، ترجمة / محمد هشام ص ٤٦، دار الشروق القاهرة، ط ١٩٩٩م..، الله: عباس محمود العقاد ص ١٠٥، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ط ٢٠١٣م.

(١) انظر: العلاقات السياسية بين العرب واليهود، ص ٣٢.

(٢) الملل المعاصرة في الدين اليهودي: إسماعيل راجي الفاروقي ص ٢٥ مطبعة الجبلاوي ١٩٦٨م.

(٣) العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ص ٦٥.

الفتن والبغضاء والأحقاد بين المهاجرين والأنصار[1].

ومناصبة العداء والخصام للرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمسلمين فقد شن اليهود حربًا عنيفة على المسلمين، وحاولوا قتل الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عدة مرات، وحرضوا الكفار على قتال المسلمين، وحزبوا الأحزاب عليهم، ونقضوا عهود المسلمين التي كان الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد عقدها معهم لكي يعيشوا بسلام مع المسلمين وبلا منازعات.

على إثر ذلك اضطر الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى مقاومتهم ومحاربتهم لأن فرديتهم كانت تعارض إنسانيته الواسعة كما كانت هذه الفردية تقف حائلاً أمام الوحدة الإسلامية[2].

كما عمل المسيحيون في أوروبا إلى اضطهاد اليهود أشد الاضطهاد، ولم يعترفوا لهم بأية حقوق مدنية إذ أقصوهم من جميع العلاقات الاجتماعية بين المواطنين لذلك لم يكن اليهود ليتأثروا بالحركات الفكرية والسياسية

---

(١) السابق ص ٦٥.

(٢) حول الصهيونية وإسرائيل: هاني الهندي ص ٥٧، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧١م

وقد ترتب على ذلك إجلاء الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لهم من المدينة وطردهم بعد حصارهم فيها بسبب محاولات قتله كما حدث من بني النضير، أو بسبب أعمالهم اللاأخلاقية ومواقفهم المعادية للمسلمين كما هو الحال من بني قينقاع، أو بسبب نقضهم العهود وانضمامهم لأحزاب قريش وحلفائها ضد المسلمين.

المزيد في التفاصيل حول هذا الشأن انظر: السيرة النبوية: ابن إسحاق، تحقيق / مصطفى السقا وآخرون ١٩٩/٣، ٢٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

والعلمية والفنية التي عملت في المجتمعات الأوروبية حولهم.

فمن حيث الدين كان هم الكنيسة المسيحية تفريق اليهود عن المسيحيين والحفاظ على هذا التفريق حيث كان على اليهود ارتداء إشارات أو علامات(*) معينة كي يتسنى تميزهم عن المسيحيين (١).

ولعل من أهم أسباب الاضطهاد اليهودي من أوروبا المسيحية هو تدخل التنظيمات اليهودية في الشئون السياسية الداخلية للحكومات « ففي فرنسا التي كان فيها (١٥٠) ألف يهودي يقيمون في المدن اكتشفت الحكومة منظمات سرية يهودية تعمل في الخفاء ضد الحكومة والكنيسة فأمرت الحكومة بطرد اليهود، ومصادرة أملاكهم، وبلغ عدد الذين طردوا عامي (١٣٠٦ - ١٣٠٨م) (١٢٠) ألفًا وتلا ذلك اشتعال ثورة دينية كاثوليكية ضد اليهود، وابيد منهم عدة آلاف، ولم ينعم اليهود في فرنسا بالأمان والطمأنينة إلا بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م التي أنهت سيطرة الكنيسة الكاثوليكية والإقطاع، وفي روسيا تفرجت ثورة عارمة ضد اليهود في أعقاب اغتيال القيصر «الكسندر الثاني » عام ١٨٨١م، وكانت مؤامرة اشتركت فيها

(*) كان اليهود يميزون وفق أوامر من بعض السلطات في العصور الوسطى بشارات معينة يضعونها على ملابسهم، وقد كانت تلك الشارات في العصر الحديث قطعة من النسيج الأصفر توضع على الملابس وعليها نجمة داوود السداسية وفي وسطها كلمة يهودي بلغة البلاد أو حرف (ن) من كلمة (jnde) أي يهودي، وفي بعض الأحيان كان يستعاض عنها بشريط يرتدي على الذراع. (انظر الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ٣٨).

(١) الممل المعاصرة في الدين اليهودي ص ٢٣.

عناصر يهودية، والمعروف أن القيصر ورجال الدين كانوا يعدون الجنس اليهودي خطرًا على الكنيسة الأرثوذكسية والمجتمع الروسي المتدين، كما أبيدت مجموعات كبيرة من اليهود وهرب مئات الألوف إلى البلدان المجاورة وإلى الولايات المتحدة الأمريكية[١].

ومن ثم فقد تبين للمجتمعات الأوربية عدم ولاء اليهود للوطن الذي يعيشون فيه فنبذتهم المجتمعات طوال عصور التاريخ، ولم يكن للعداء والبغض اللذين تكنهما الشعوب لليهود بلا جريرة أو بدون علة أو سبب.

فقد كان لعقائدهم ولتعاليمهم الدينية المدونة في كتبهم المقدسة والتي يعكفون على دراستها ليلاً ونهارًا أثرها الواضح في تزكية هذا الاضطهاد.

فها هو التلمود يعلم اليهود قائلاً: « يعد اليهود كل خارج عن مذهبهم غير إنسان ولا يصح أن تستعمل معه الرأفة، ويعتقدون أن غضب الله موجه إليه وأنه لا يلزم أن تأخذ اليهود شفقة عليه»[٢]، وفيه « اقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين »[٣].

(١) لمزيد في التفاصيل ينظر: أورشليم وأرض كنعان: حوار من أنبياء وملوك إسرائيل: إبراهيم الشريقي ص ١٩١ شركة الشرق الأوسط للطباعة عمان - الأردن ١٩٨٥م، كيف يفكر زعماء الصهيونية ؟ أمين هويدي ص ١٦، دار المعارف القاهرة ١٩٧٤م،الادعاءات الصهيونية والرد عليها ص ٨٣. التعصب في الفكر الصهيوني ص ١٠٧.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست روهلنج، ترجمة / يوسف حنا نصر الله ص ٦٩، بيروت ١٩٦٨م.

(٣) السابق ص ٨٥.

وأيضًا « كل خير يصنعه يهودي مع أمي فهو خطيئة عظمى، وكل شر يفعله معه قربان لله يثيبه عليه »[1].

ونتيجة لهذا الشعور المبالغ فيه بالاضطهاد فقد برز شعور لدى اليهود بضرورة التماسك والاتحاد الداخلي مقابل ذلك الخطر المحدق الذي يحيط بهم، وهذا ما تجلى:

أولاً: « في «الجيتو»[*] أو الحي الخاص لسكن اليهود في أوروبا الذي كان رمزًا للتزمت والجحود الفكري والاجتماعي، والعزلة عن الإنسانية، والحقد عليها وسببًا لتطبعهم بطباع خاصة وقيامهم

(١) نحن واليهود: كاظم محمد النقيب ص ١٠٠، دار المحيط للمطبوعات، بغداد ١٩٦٧م.

(*) يعد الغيتو أو الجيتو أشهر الأنماط الانعزالية اليهودية في العالم والجيتو حي أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود أما أصل كلمة جيتو فإنه يحاط بالكثير من الشوك ومن الممكن أن تكون الكلمة قد استخدمت لأول مرة لوصف حيَّ من أحياء البندقية قرب مسبك لصهر المعادن يسمى جيتو أو جتو كان محاطًا بأسوار وبوابات في عام ١٥١٦م، وخصص لإقامة الطائفة اليهودية بينما يرى البعض أن أصل الجيتو يرجع إلى سفر التكوين وذلك حينما أوعز يوسف إلى أخوته أن يخبروا فرعون إذا سألهم أنهم رعاة مواشٍ ليتسنى لهم أن يعتزلوا المصريين ويسكنوا وحدهم فقد كان المصريون يرون كل راعي غنم رجسًا ويفهم من ذلك أن سفر التكوين قد بذر البذرة الأولى للجيتو اليهودي بأن يطلب من اليهود الانعزال عمن سواهم فاليهود لم يعزلوا في الجيتو ولكنهم انعزلوا فيه.

(انظر لمزيد في التفاصيل: الشخصية الإسرائيلية: د/ حسن ظاظا ص ٧٤، ٧٥، دار القلم بيروت - لبنان ١٩٨٥م، المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ؟ من ظهور إبرام حتى سقوط يهوذا: محمود نعناعة ص ١٣٦، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٢م).

بتكوين مدينة خاصة بهم وأدب ولغة ولباس خاص، مع طرق للكسب لا تأتلف وأساليب غيرهم في الحياة »[1].

ثانيًا: ولدَّ لديهم النزعات الاستعلائية والتعصب ضد من يضطهدهم، والتي تترافق مع استخدامهم للعنف والمبادرة به كنوع من التصدي للآخرين والوقاية منهم، وذلك بما زرعته فيهم التوراة والكتب المقدسة الأخرى من تعاليم تدعوا إلى سفك دماء من يقابلهم ويقف في طريقهم، والتي جاء فيها «حِينَ تَقْتَرِبُ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ»[2] وأيضًا: « وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. (*) وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ» [3].

ولا شك أن الشواهد الحديثة في تاريخهم كثيرة منها ما يرتكبونه ضد الفلسطينيين على نحو خاص والعرب على نحو عام.

مما يدعو إلى التساؤل بأنه إذا كان العالم الغربي يضطهد هؤلاء اليهود فما ذنب العرب في ذلك؟

---

(١) لمحات من تاريخ التطورات الاجتماعية في الغرب وظهور المشكلة اليهودية وقيام إسرائيل: قاسم حسن المحامي ٥٨/١، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ١٩٥٨م،الوعد الثانى لبني إسرائيل جلال عبد الفتاح ص١٢٤،١٢٣ دار الثقافة العلمية القاهرة ٢٠٠٣م

(٢) سفر التثنية ١٠/٢٠ - ١٤.

(٣) سفر العدد ٩/٣١ - ١٠.

وضمن هذا السياق يأتي تعليق الكاتب الفرنسي «مكسيم رودتسن» في كتابه «إسرائيل والعرب» بالقول: « ليس هناك من سبب يدعو العرب أن يكون ضحية اضطهاد أوروبا لليهود، فإذا كانت أوروبا تريد أن تكفر عن أخطائها نحو اليهود فالمنطق يقضي بأن تتنازل هي عن جزء من أراضيها لهم، ليقيموا عليه دولتهم لا أن تتكارم وتسخوا وتكَّفر من ذنوبها على حساب العرب، وإذا كان اليهود ينتقمون الآن من العرب فالأولى أن ينتقموا من المنتقم لا من البريء »[1].

وهكذا تصل عقدة الشعور بالاضطهاد بهؤلاء إلى هذا النمط من تعميق النزعة الاستعلائية في أقوالهم فضلاً عن أفعالهم عبر العصور المختلفة من تاريخهم مع الأمم والشعوب.

ثانيًا: الشعور بالخوف:

من بين الأسباب النفسية التي كان لها الأثر الكبير في تعميق روح الاستعلاء العنصري لدى اليهود هو شعورهم الدائم بالخوف ويقصد بالشعور بالخوف لدى علماء النفس: الشعور بالعجز عن مواجهة حالة معينة فالشخص لا يخاف إلا إذا أدرك وجود خطر يهدد بقاءه، والذي لا يدرك وجود خطر يتهدد بقاءه، إما عن جهل، وإما عن غفلة، وإما عن عدم انتباه لا يخاف [2].

(١) الإدعاءات الصهيونية والرد عليها ص ٨٦.

(٢) انظر: علم النفس في حياتنا اليومية: سمير شيخاني ص ٧٠، مكتبة الشرق الجديدة للنشر والتوزيع - بغداد ط ١٩٨٤م، أصول علم النفس وتطبيقاته: فاخر عاقل ص ٢١٤ =

كما يعد الخوف من أكثر الأمراض النفسية شيوعًا فالمريض النفسي ليس إنسانًا من نوع بشري خاص أو من طائفة معينة من الناس، ولكنه فرد غير متوافق أو غير سوي السلوك بسبب أحواله[١].

ومن ثم فقد كان لمواقف العداوة التي وقفها اليهود من جميع أمم العالم، مع ضعفهم، وقلة عددهم سببًا في شعورهم الدائم بالخوف.

فقد كانوا يخافون من العزلة التي فرضوها على أنفسهم، كما كانوا يخافون من الاندماج، ويرون فيه تهديدًا بضياع كل تراثهم، وهي عقدة مرضية في شخصية الصهاينة، أساسها الشعور بالبناء الهش المتهافت الذي لا يستطيع الثبات أمام الحضارات التي تبنيها الأمم الأخرى [٢].

وهذه الفكرة مرتبكة بفكرة عقدة الاضطهاد على معنى.... أن شعور اليهود بالخوف مرجعه إلى أنهم قد ذاقوا مرارة الاضطهاد كثيرًا في عصور متعددة من تاريخهم[٣].

لكونهم أقليات عاشت في ظل الأكثرية حيث كان ينظر إليهم، غرباء، متطفلين، أجساد أجنبية بين الأمم، لذا فقد اضحى هؤلاء يخافون تكرار ما حدث لهم في الماضي من عمليات الإبادة والإفناء، وقد عبر عن ذلك الأمر

=

دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٧٣م.

(١) انظر: أمراض نفسية: كمال الدسوقي، سلسلة اقرأ (٢٥٧) ص ١٣، ص ٥٨، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م.

(٢) الشخصية الإسرائيلية: د/ حسن ظاظا ص ٥٠، ٥١.

(٣) الاتجاهات التعصبية ص ٥٠، ٥١.

« مناحييم بيجن »[*] بقوله: « لقد جاءت المرحلة الأخيرة من حملة الإبادة لليهود الأوروبيين ومن وحشية الأعداء أصبحت أوروبا قبرًا كبيرًا للملايين اليهود، ولقد حصل ما تنبأنا به فمن بين السبعة عشر مليونًا من اليهود الذين يعيشون في العالم بقي منهم أحد عشر مليونًا لقد دمرَّ ثلث شعبنا على نحو وحشي ومن دون مقاومة »[1].

كما أكد ذلك «ناحوم جولدمان»[**] بقوله: « لقد تسببت تلك المذبحة

(*) مناحييم بيجن: ولد في بريست ليتوفسك في بولندا لأب صهيوني قتله الألمان فترك ذلك أثرًا عميقًا في نفسه تخرج في كلية الحقوق في جامعة وارسو وانضم إلى منظمة «بيتار» عام ١٩٢٩م التي كان هدفها إعداد الشباب للهجرة إلى فلسطين والقتال في سبيل الصهيونية، وتمجيد العنف وفي فترة ١٩٤٣، ١٩٤٨م، مارس بيجن الإرهاب بأنواعه كلها ضد عرب فلسطين، وضد القوات والإدارة البريطانية وأكبر أعماله الإرهابية كان نسف فندق الملك داوود مقر حكومة الانتداب، ومذبحة دير ياسين التي ذهب ضحيتها الأطفال والنساء والشيوخ العرب. (لمزيد في التفاصيل: موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي ١/٦٥٠، ٦٥١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ١٩٧٩م).

(١) يوميات مناحييم بيجن: مناحيين بيجن، ترجمة / معين أحمد محمود ص ٢٠٧، دار المسيرة بيروت – لبنان ١٩٧٨م.

(**) ناحوم جولدمان (١٨٩٤ – ١٩٨٢م) رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي ولد في روسيا وتعلم في ألمانيا ونشط منذ صباه في الحركة الصهيونية زار فلسطين عام ١٩١٣م وخلال الفترة بين (١٩٣٥ – ١٩٣٩م) كان ممثلاً للحركة الصهيونية في عصبة الأمم في جنيف ولأنه ممثل للوكالة اليهودية أدار جولدمان النشاطات السياسية وشارك في مشروع (بلتمور) عام ١٩٤٢م، ودعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، توفى في النمسا ودفن في جبل هرتزل. (انظر: معجم المصطلحات الصهيونية: إفرايم ومناحييم تلمي، ترجمة /

في تفاقم ضريبة الخوف الناجم من معاداة السامية(*) وترسيخها ذلك الشعور الذي أصبح خلال قرون من الاضطهاد والشتات عاملاً نفسيًا طبيعيًا لدى الشعب اليهودي، أن مشهد إبادة ثلث هذا الشعب الذي يزال يهيمن على المشاعر اليهودية وسيستمر في التأثير فيها خلال أجيال قادمة زاد في الحذر الطبيعي لدى اليهود بشأن علاقاتهم بالعالم غير اليهودي»(١).

أي عمل على نمو مشاعر الشك في الغرباء والتعصب والتطرف ضد الآخرين مما ساعد في تجذير النزعة الاستعلائية في الفكر اليهودي الصهيوني.

وقد أصبح الحل في نظر مفكري اليهود في التخلص من هذا الشعور بالخوف يتلخص في أمرين:

الأول: أن ينفصل اليهودي عن المجتمعات التي يعيش بين ظهرانيها ويتلاقى مع سائر اليهود في جو خاص، ووطن مستقل يجمعهم.

الثاني: أن يتخلى اليهودي عن موقفه المسالم وأن يتسلح بالعنف، ويبادر

=

أحمد بركات ص ٩٢، دار الجيل للنشر - عمان ١٩٨٨م).

(*) معاداة السامية ترجمة شائعة للمصطلح الإنجليزي (Anti- Semitism) التي تعني ضد السامية والسامية اسم أطلق على الشعوب التي زعم أنها انحدرت من صلب سام أحد أبناء نوح وكان من أبناء سام العرب واليهود، وعدد من القبائل التي كانت تعيش في جنوب غرب آسيا. (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٣٣٣/٢).

(١) إسرائيل إلى أين ؟: ناحوم جولدمان ص ٣١، منشورات فلسطين المحتلة ط ١٩٨٠م.، التعصب في الفكر الصهيوني ص ١١٣.

به للتصدي للآخرين والوقاية منهم [١].

ففيما يتعلق بالأمر الأول وهو الانعزالية ورفض الاندماج فإنه يمكن تلمس أصول ذلك واضحة في المصادر والتعاليم اليهودية المقدسة التي تؤكد على تحريم الاختلاط والزواج المختلط.

ففي سفر عزرا - على سبيل المثال - نجد الدعوة صريحة على الانفصال في قوله: « انْفَصِلُوا عَنْ شُعُوبِ الأَرْضِ وَعَنِ النِّسَاءِ الْغَرِيبَةِ» [٢].

كما نص سفر التثنية على أنه لا ينبغي للشعب المختار أن يختلط بالشعوب الأخرى: «ولا تصاهروهم فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم، ولا أبنائكم من بناتهم»[٣].

وفي سفر نحميا نطالع: « لاَ تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ، وَلاَ تَأْخُذُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ لأَنْفُسِكُمْ»[٤].

وفي سفر التكوين تأتي وصية إبراهيم لابنه اسحق عليهما السلام بعدم التزوج إلا بإسرائيلية: « وقال إبراهيم لكبير خدم بنيه ووكيل جميع أملاكه: ضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي، فَأَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ في أرضهم، بَلْ إِلَى بيت أبي

(١) التعصب في الفكر الصهيوني ص ١١٣.

(٢) سفر عزرا ١١/١٠.

(٣) سفر التثنية ٣/٧

(٤) سفر نحميا ٢٥/١٣.

تذهب وإلى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي»[1]

ويتضح مما تقدم أن العزلة والانطواء الاجتماعي إنما جاء في الأسفار ترفعًا وحفاظًا على الجماعة اليهودية من الدنس والانصهار، وقد ظهر هذا واضحًا في موقف المفكرين اليهود الرافض للاندماج حيث يرى « آرثر روبين» وهو منظر صهيوني في الاندماج بأنه « خطر هائل يهدد الحياة اليهودية ».

أما « كلاتزكين»[*] فيشبه الاندماج بمرض تنتقل عدواه إلى الجماعات اليهودية فيشوهها، ويفقرها، بل إنه يعد الاندماج جريمة وخطيئة وعارًا يحط من كرامة اليهـــــــود الإنسانية الفردية[2].

وبناء على ما سبق: فإن الدعوة للدولة اليهودية جاءت بمنزلة البديل عن الاضطهاد والخوف أولاً والاندماج ثانيًا.

---

(١) سفر التكوين ٣٧/٢٤، ٣٨.

(*) جاكوب كلاتزكين (١٨٨٢ - ١٩٤٨م) فيلسوف صهيوني ولد في بولونيا، وكان أبوه حاخامًا ومن علماء التلمود البارزين حصل على الثقافة التلمودية التقليدية فظهر مضمونها في كتابه الأول عام ١٩٠٢م حين= كان في العشرين من عمره وقد عبر عن انكاره الصهيونية في عدة مقالات جمعت عام ١٩١٤م، عنوانها تخوم أو حدود. (انظر: الفكرة الصهيونية ص ٢٠١، ٢٠٢).

(٢) لمزيد في التفاصيل انظر: الصهيونية والعنصرية مجموعة باحثين مجلد ١ ص ١٠٩، ١١٠، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت - لبنان ط ١٩٧٩م.، نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر اليهودي: د/ عبد الوهاب المسيري ص ٩٨، المؤسسة العربية للدارسات والنشر بيروت - لبنان ١٩٧٩م.

وضمن هذا السياق يأتي تعبير (هرتزل) عن ذلك بقوله: « وثمة قوتان جعلتا من وجود دولة لليهود حاجة ملحة، وليست فكرة مثالية وهما معاناة اليهود نتيجة الاضطهاد، والخوف من الاندماج »[١].

وفيما يتعلق بالأمر الثاني وهو الميل إلى العنف ضد الآخرين تعويضًا عن ذلكم الشعور بانعدام الأمن حيث يدفع الخوف بالأفراد منذ وجدوا إلى أن يتحدوا ويتعاونوا في مواجهة الشدائد ومن ثم يكونوا الجماعات والمجتمعات لتبادل الحماية والتخلص من الخوف وكسب الأمن [٢].

فإن الإنسان اليهودي الذي اصطبغ بالروح العدوانية النابعة من عدم إحساسه بالأمان الذي يصرخ دائمًا بأنه مهدد بالإبادة على يد من حوله إنما تتحكم به تلك العقدة، وهي الشعور بالخوف، وهي التي تجعله لا يستسلم لسلم أبدي أو طويل المدى ومن ثم تغدوا الحرب هي الوسيلة التي تخلق بين الفرد الإسرائيلي وسائر جماعته روح التماسك والتلاحم [٣].

وما دام استخدام القوة والعنف يعدان الوسيلة الأساسية لضمان الأمن اليهودي فقد أصبح من المألوف أن تزخر الكتابات والطروح الفكرية الصهيونية تمجيد استخدامها، وضمن هذا السياق يأتي تعبير"بن جوريون"[*]

(١) ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية: ديزموند ستيوارت، ترجمة / فوزي وفاء، وإبراهيم منصور ٥٥٥/١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ١٩٧٤م.

(٢) أمراض نفسية: د / كمال دسوقي ص ٦٠.

(٣) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ٦٠.

(*) بن جوريون(١٨٨٦-١٩٧٣م) سياسي يهودي ومؤسس دولة إسرائيل وقائدها طوال خمسة عشر عاما، شغل مناصب عدة، منها منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع بين عامي

عن ذلك بقوله: « نعم إن الدولة اليهودية ضرورة لا بد منها ولكنها ليست كل شيء، فنحن بحاجة إلى دولة يهودية واسعة وقوية وإلا فإنها لن تتمكن من البقاء، ولن تكون لها أية فائدة للشعب اليهودي»[١].

أما « مناحم بيجن » فقد أكد على ضرورة خلق اليهودي المحارب بالدم والنار والدموع والرماد معتبرًا أن « أساليب العنف التي اتبعها الصهيونيون قبل إنشاء إسرائيل هي الطريق الوحيد لتحقيق الأهداف اليهودية القومية في فلسطين وأن إتباع الأساليب الإرهابية قد أشبع رغبة عامرة لدى اليهودي في الانتقام »[٢].

وهكذا يصبح العنف الأداة التي يتوصل بها الصهاينة لإعادة صياغة شخصية اليهودي، فاليهودي في هذا التصور يحتاج إلى ممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه ومن ذاته الطفيلية الهامشية، ومن ثم يصبح العنف بمنزلة الشعائر الدينية التي تستخدمها بعض القبائل البدائية حين يصل أفرادها إلى سن الرجولة؛ لأن اليهودي حين يمارس العنف والقتل يتخلص من مخاوفه ويصبح جديرًا بالحياة[٣].

=

١٩٤٩-١٩٥٨م،كما كان القائد الفعلي لحزب المباى، ولكنه انشق عنه في عام ١٩٦٥م وشكل حزبا آخر هو حزب رافي(انظر معجم المصطلحات الصهيونية ص٧١، ٧٢

(١) انظر: رسائل بن جوريون دافيد بن جريون، ترجمة / ديانا عبد الحميد ص ١٨٧، دار القدس بيروت - لبنان ط ١٩٧٩م.

(٢) أعمال إسرائيل الانتقامية ضد الدول العربية: محمد المجذوب ص ١٢٣، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية بيروت - لبنان ١٩٧٠م.

(٣) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ١٨٤.

وهكذا فإن فكرة الشعور بالخوف تكون قد ساهمت في تعميق الاستعلاء العنصري لهذا الفكر اليهودي لأجل المحافظة على هويتهم وتدعيمها بكل الطرق والوسائل المختلفة.

الفصل الثاني
الاستعلاء العنصري في التعاليم اليهودية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستعلاء العنصري في العهد القديم.

المبحث الثاني: الاستعلاء العنصري في التلمود.

المبحث الثالث: الاستعلاء العنصري في ميزان الإسلام

المبحث الأول
الاستعلاء العنصري في العهد القديم

لم يحدث على مر التاريخ أن كان اعتناق ديانة معينة، من قبل أناس معينين يجعلهم جنسًا موحدًا أو يمنحهم هوية عنصرية أو يجعلهم شعبًا ذا خصوصية قومية، ولم توجد مثل هذه التوجهات العنصرية إلا في الفكر اليهودي.

فقد بدا واضحًا للمطالع للتعاليم اليهودية - بغض النظر عن مصدرها- كيف أن مفهوم الخصوصية والتفرد العرقي تسلل فتسلط على أذهان هؤلاء؟ حتى أصبح الاستعلاء العنصري والتعصب سمتهم الصارخة على مدى العصور والأزمنة وبهذه النزعة الجائرة يتعامل اليهود مع غيرهم من الشعب، حتى وصل هذا الاستعلاء والتعصب باليهود إلى «اعتبار الله إلهًا خاصًا بهم وليس لباقي الشعوب حظ من الاتصال به »[1] .

وقد حاول اليهود البحث عن تلك الأفضلية المزعومة لهم بأي وسيلة من الوسائل محاولين تبرئة أنفسهم من العيوب ومن النقائص حتى «تفردوا من بين الأمم بآفاتهم المتكررة، وخطيئتهم المدمرة حين جعلوا ذلك عقيدة ودينا ونسبوه إلى الوحي الإلهي وسجلوه في كتبهم الدينية على أنه حقائق إلهية ومقررات نبوية ولقد كان هذا الاستعلاء الجاهلي المظلم من أفدح الجنايات التي أوقعها اليهود بوحي السماء، فعطلوا بذلك مسيرته، وخانوا

(١) جذور البلاء: عبد الله التل ص ٢١، دار الإرشاد بيروت - لبنان.

أمانته، ودفعوه بالعنصرية والشعوبية مع أنه رحمة للعالمين »[1].

كما عمد هؤلاء إلى التاريخ فلوثوه بعنصريتهم زاعمين «أن أحد أبناء آدم كان ضالاً والآخر مهتديًا ينحدر بنو إسرائيل منه ثم يصل التاريخ إلى «نوح» - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فيدعون أن الله رضي عن ابنه «سام» وغضب على «حام» وأبنائه وهم تناسلوا من سام ».

ويصل إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فنجد أن اليهود يدَّعون أن إسماعيل قد حُرِّم من البركة وحقت عليه اللعنة بينما يحصل إسحاق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على البركة والرضا من الله، ومن إسحاق يأتي يعقوب، وعيسى ولكن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحصل على البركة، وهم يتناسلون من يعقوب.... وهكذا فهم من جنس مبارك منذ بدء الخلق كما يدَّعون »[2].

ومن يطالع النصوص التي يضفون عليها صفة القداسة يدرك بوضوح كيف صورت هذه النصوص الأمر في نزعه استعلائية ففي سفر التثنية نطالع: « لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. قَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لكي تكون خاصًا فوق جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ»[3].

وفيه: « وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، (*) وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي

(١) معركة الوجود بين القرآن والتلمود: د/ عبد الستار فتح الله سعيد ص ١٥٧، ١٥٨، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط الثالثة ١٤٠٥هـ.

(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ص ٢٨٦.

(٣) سفر التثنية ٢/١٤.

عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ»[1].

لهذا لم تعدم التوراة في بعض تعاليمها من الدعوة إلى التميز الطائفي في مجافاة للعدل، وتجانف عن الحق، كذا الحث على التميز لليهود في العلاقات الاجتماعية فتحض على التفرقة في المعاملة بين اليهود وبين غيرهم، وهذا واضح من إشارة سفر التثنية والذي جاء فيه: « لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَّا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا، (*) لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا، لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا»[2].

ولم تكف التعاليم التوراتية على لسان الأحبار والرَّب عن تحذير اليهود من الاختلاط بالأقوام والأمم الأخرى، وشتمهم، وسبهم، بل واعتبارهم من

---

(١) سفر التثنية ١٨/٢٦، ١٩.

لعل من المفارقات الغريبة والعجيبة أنه في مقابل هذه التعاليم التي تدعوا إلى التمييز الطائفي والنزعة الاستعلائية هناك تعاليم أخرى تحث على الأمانة، والتزام الصدق وحسن المعاملة مع سائر الخلق سواء مع البشر أو مع العجماوات ففي سفر الخروج ٣/٢٣ نطالع: « ولا تجارب مع المسكين في دعواه » وفيه ٤/٢٣ « إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردًا فرده إليه » وفيه ٧/٢٣ « ابتعد عن كلام الكذب ولا تقتل البريء والبار لأنني لا أبرر المذنب»، وفيه أيضًا ٢٣/٢١، ٢٤ نطالع « وإذا فتح الإنسان بئرًا أو حفر بئرًا ولم يغطها فوقع فيها ثور أو حمار فصاحب البئر يعوض ويرد فضة لصاحبه والميت يكون له » مما يؤكد ما يعانيه هذه الفكر من تخبط من حيث الإيمان والتمسك ببعض النصوص وتخليهم وتركهم عن بعضها الآخر.

(٢) سفر التثنية ١١/٢٣، ٢٠.

نسل الحيوانات ولعل المثال الصارخ على ذلك ما يؤكده الكاهن حزقيال بن بوزي من أن الرَّب قال له: «إنه غاضب على المرأة أهوليه ».

تلك المرأة التي تصورها التوراة على أنها امرأة شهوانية تحب معاشرة الرجال ولذلك تعدد عشاقها ومضاجعيها سفاحًا لأنها: « زَنَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ. (*) وَعَشِقَتْ مَعْشُوقِيهِمِ الَّذِينَ لَحْمُهُمْ كَلَحْمِ الْحَمِيرِ وَمَنِيُّهُمْ كَمَنِيِّ الْخَيْلِ»[1].

وهذا التفرد العنصري، والاعتقاد بالخصوصية - في تصور البعض - يتخذ وجهين في حديث حزقيال بن بوزي «الذِي كَان علَى نَهْرِ خَابُورَ. وَكَانَتْ عَلَيْهِ هُنَاكَ يَدُ الرَّبِّ»[2].

الأول: أن هذا التفرد مقضي به إلهيًا وأن قومه لا يختلطون بالتزاوج أو الفسق أو المضاجعة مع الأمم الأخرى التي سمتها التوراة الأمميين أو الجويم، لأنه اعتبر هذه الأمم من الحيوانات وليس من البشر، وأن الجنس بين البشر والحيوانات محرم دينيًا، وبما أن هذه الأمم من الحيوانات فإن الاتصال بالأمم الأخرى محرم.

والوجه الثاني: وهو أكثر تفردًا أيضًا، ويتمثل في أن الرَّب الذي كانت يده على حزقيال بن بوزي، وقال له هذا الكلام ليس إلا إلهًا خاصًا باليهود غيورًا على نقاء دمائهم، وليس إلهًا عامًا لكل البشر ولا يمكن أن يكون في المفهوم التوراتي إلهًا لجميع الأمم؛ لأنه لو كان كذلك فإنه كيف يخلق بشرًا آخرين ثم يقول عنهم بعد أن يخلقهم أنهم بهائم لا بشر «لحمهم لحم حمير

(١) سفر حزقيال ١٩/٢٣، ٢٠.

(٢) سفر حزقيال ٣/١.

ومنيهم كمني الرجال....؟ »[1].

وقد ظهر هذا بوضوح في ذلك الغضب الذي أوقعه هذا الإله بهذه المرأة فعلى حسب التوراة فإن الأممي - أي غير اليهودي - هو حيوان متنكر في هيئة إنسان لأنه مولود من نطفة حصان، وهذا ما يفسر غضبة الرب على المرأة اليهودية التي تركت رحمها يتدنس بمني المصريين، ولذلك خاطبها على لسان حزقيال قائلاً: « وَأَجْعَلُ غَيْرَتِي عَلَيْكِ فَيُعَامِلُونَكِ بِالسَّخَطِ. يَقْطَعُونَ أَنْفَكِ وَأُذُنَيْكِ، وَبَقِيَّتُكِ تَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. يَأْخُذُونَ بَنِيكِ وَبَنَاتِكِ، وَتُؤْكَلُ بَقِيَّتُكِ بِالنَّارِ. (*) وَيَنْزِعُونَ عَنْكِ ثِيَابَكِ، وَيَأْخُذُونَ أَدَوَاتِ زِينَتِكِ. (*) وَأُبَطِّلُ رَذِيلَتَكِ عَنْكِ وَزِنَاكِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فَلاَ تَرْفَعِينَ عَيْنَيْكِ إِلَيْهِمْ وَلاَ تَذْكُرِينَ مِصْرَ بَعْدُ»[2].

كما تتعدد الأمثلة في التعاليم التوراتية التي تؤكد على نزعة الاستعلاء العنصري ونقاء الدم اليهودي، ومن بين هذه الأمثلة: ذهاب زوجة إسحق التي تسميها التوراة «رفقه» إلى زوجها معلنة النفير من جيرانها كما في تصوير سفر التكوين: « مَلِلْتُ حَيَاتِي مِنْ أَجْلِ بَنَاتِ حِثَّ. إِنْ كَانَ يَعْقُوبُ يَأْخُذُ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ حِثَّ مِثْلَ هؤُلاَءِ مِنْ بَنَاتِ الأَرْضِ، فَلِمَاذَا لِي حَيَاةٌ؟»[3].

وتأتي غضبة «رفقة» هذه بحسب ما تشير إليه التوراة بسبب عشق

---

(١) القتل عقيدة يهوه وأتباعه: ممدوح الزوبي ص ٤٥، الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا ط الأولى ٢٠٠٠م.

(٢) سفر حزقيال ٢٣/٢٥، ٢٦.

(٣) سفر التكوين ٢٧/٤٦.

يعقوب لإحدى نساء الحيثيين، وسعيه للزواج منها لكن أمه ضغطت على إسحاق الذي حذره من ذلك حيث تقول التوراة: « فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ، وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ: «لاَ تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ» (١).

ولم يكن هذا الموقف قاصرًا على يعقوب، بل لقد حصل على إبراهام الذي كان بحسب تصوير التوراة مغتربًا في أرض فلسطين حيث تقول: «وكانت غربته في أرض الفلسطينيين أيامًا كثيرة» (٢).

ورغم أن الفلسطينيين أكرموا وفادته فصار بفضلهم « ◌َ عَظِيمًا، وَأَعْطَوه غَنَمًا وَبَقَرًا وَفِضَّةً وَذَهَبًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَجِمَالاً وَحَمِيرًا» (٣).

فإنه لم يشعر -حسب تصوير التوراة - بأي مودة أو محبة تجاه من أكرم وفادته وآزره، وعندما كبر ابنه إسحق الذي ولد في الغربة « وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ» (٤)، استحلف رئيس عبده قائلاً: « أَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، (*) بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إِسْحَاقَ» (٥).

ومن هنا نلاحظ هذا الكره والاستعلاء - الذي تصوره هذه التعاليم -

(١) سفر التكوين ١/٢٨.

(٢) سفر التكوين ٢٤/٢١.

(٣) سفر التكوين ٣٥/٢٤.

(٤) سفر التكوين ٥/٢١.

(٥) سفر التكوين ٣/٢٤، ٤.

من قبل إبراهام لقوم فتحوا قلوبهم وأرضهم له ولأتباعه، ورغم ذلك فإنه لم يشعر بأية مودة تجاههم أو أي انتماء لأرضهم، وظل انتماؤه لأرضه وعشيرته «الآراميين».

وإذا كان الخطاب التوراتي قد بدأ بالفصل العنصري بين بني إسرائيل وغيرهم من الشعوب منذ عهد إبراهيم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فإن هذه الدعوة ولو لم تطبق كاملة، فقد بقيت قائمة في العهود اللاحقة وقد بلغت ذروتها في رأي بعض الباحثين في عهد عزرا ونحميا حيث كانا يعتقدان أن هذا الفصل العنصري يحفظ للشعب الإسرائيلي نقاوته ويمنع تدنيسه من قبل الشعوب الأخرى.

ولا شك أن المعاناة التي عاش فيها قسم كبير من بني إسرائيل بعد التهجير الآشوري والبابلي كان لها تأثير كبير على هذا الأسلوب العدائي الذي كتب به العهد القديم وملحقاته، مما جعلهم حاقدين على جميع شعوب الأرض مفضلين الانطواء والانزواء بحجة الاستعلاء والادعاء بأن الله تعالى ميزهم عن غيرهم من الشعوب، وعرفانًا لهذا الجميل عليهم المحافظة عليه، بعدم مصاهرة هذه الشعوب[1].

فعلى سبيل المثال نجد عزرا عند وصوله إلى أورشالم، ومعرفته أن بني إسرائيل قد اتخذوا من بنات الشعوب الأخرى زوجات، «وَاخْتَلَطَ الزَّرْعُ الْمُقَدَّسُ بِشُعُوبِ الأَرَضِ قام بتمزيق ثِيَابِه وَرِدَائِه وَنَتَّفْتُ شَعْرَ رَأْسِه وَذَقْنِه

(١) انظر: الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم ص ٢٧٧.

وَجَلَس مُتَحَيِّرًا»[١].

حيث إنه يعتبر الشعوب الأخرى غير بني إسرائيل شعوبًا نجسه وأن الأرض التي يحلون بها أيضًا تصبح نجسه «إِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَدْخُلُونَ لِتَمْتَلِكُوهَا هِيَ أَرْضٌ مُتَنَجِّسَةٌ بِنَجَاسَةِ شُعُوبِ الأَرَاضِي، بِرَجَاسَاتِهِمِ الَّتِي مَلأُوهَا بِهَا مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ بِنَجَاسَتِهِمْ»[٢].

ويعتبر ذلك خيانة من جانب بني إسرائيل «إنكم خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل»[٣].

ونتيجة لذلك فإن عزرا يأمر بأن « لاَ تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ وَلاَ تَأْخُذُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ تَطْلُبُوا سَلاَمَتَهُمْ وَخَيْرَهُمْ إِلَى الأَبَدِ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَأْكُلُوا خَيْرَ الأَرْضِ وَتُورِثُوا بَنِيكُمْ إِيَّاهَا إِلَى الأَبَدِ»[٤].

وطلب من بني إسرائيل أن يقوموا بإخراج كل نساء الشعوب الأخرى والبنين الذين ولدوا منهن « فَلْنَقْطَعِ الآنَ عَهْدًا مَعَ إِلهِنَا أَنْ نُخْرِجَ كُلَّ النِّسَاءِ وَالَّذِينَ وُلِدُوا مِنْهُنَّ»[٥]، وقال أيضًا: « فَاعْتَرِفُوا الآنَ لِلرَّبِّ إِلهِ آبَائِكُمْ وَاعْمَلُوا مَرْضَاتَهُ، وَانْفَصِلُوا عَنْ شُعُوبِ الأَرْضِ وَعَنِ النِّسَاءِ الْغَرِيبَةِ»[٦].

---

(١) سفر عزرا ٩/١ – ٣.

(٢) سفر عزرا ٩/١١.

(٣) سفر عزرا ١٠/١٠.

(٤) سفر عزرا ٩/١٢.

(٥) سفر عزرا ١٠/٤.

(٦) سفر عزرا ١٠/١١.

ويعترف الخطاب التوراتي بهذا التصرف العنصري ويقره: « وَانْتَهَوْا مِنْ كُلِّ الرِّجَالِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا نِسَاءً غَرِيبَةً فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ»[1].

وإذا كان هذا تصرف عزرا الكاهن، فإن تصرف نحميا أيضًا لم يكن أقل من ذلك فهو يصور لنا الحالة التي كان عليها بنو إسرائيل في أورشالم فيقول: « فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَيْضًا رَأَيْتُ الْيَهُودَ الَّذِينَ سَاكَنُوا نِسَاءً أَشْدُودِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَمُوآبِيَّاتٍ. (*) وَنِصْفُ كَلاَمِ بَنِيهِمْ بِاللِّسَانِ الأَشْدُودِيِّ، وَلَمْ يَكُونُوا يُحْسِنُونَ التَّكَلُّمَ بِاللِّسَانِ الْيَهُودِيِّ، بَلْ بِلِسَانِ شَعْبٍ وَشَعْبٍ. (*) فَخَاصَمْتُهُمْ وَلَعَنْتُهُمْ وَضَرَبْتُ مِنْهُمْ أُنَاسًا وَنَتَفْتُ شُعُورَهُمْ، وَاسْتَحْلَفْتُهُمْ بِاللهِ قَائِلاً: «لاَ تُعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ، وَلاَ تَأْخُذُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلاَ لأَنْفُسِكُمْ»[2].

وهكذا نجد العنصرية تتجلى بأوضح معانيها في هذا الخطاب التوراتي والذي توارثه الأبناء عن الآباء.

والغريب في هذا السياق وفي ضوء ما ذكر آنفًا من شهادة بعض علماء الأجناس أن العلم والتاريخ أكدا أن اليهود وخاصة واضعي العهد القديم، وكذلك كهانهم الذين ورد ذكرهم فيه مثل حزقيال وغيره لم يكونوا جنسًا متفردًا، أو قائمًا بذاته، فقد كان انتسابهم إل العديد من الأقوام التي كانت متواجدة في المنطقة فإبراهام كان أوديمًا، ويعقوب أدوميًا، وموسى مصريًا، وعزرا ونحميا بابليان[3].

---

(١) سفر عزرا ١٠/١٧.

(٢) سفر نحميا ١٣/٢٣ - ٢٥.

(٣) انظر: قراءة سياسية في التوراة: شفيق مقار ص ٣٤.

كما ينسحب هذا الأمر على يهود اليوم الذين تتعدد أعراقهم وأشكالهم وألوانهم، بشكل متنافر والذين يعتبر المجتمع الإسرائيلي الحالي خير دليل على انتفاء كونهم عنصرًا متفردًا... وكيف يمكن إقناع الناس بأن اليهود الشقر والسمر والسود والبيض من جنس واحد.

ومما لا شك فيه أن توجهات التعاليم التوراتية هي توجهات متفردة غرس من خلالها الكثير من القيم المزيفة، والعنصرية والدعوات إلى إبادة بقية البشر ويظهر هذا التوجه من خلال ما تؤكده التوراة من تلك الوعود السخية التي تطلق على لسان الرَّب في خطابه وحديثه لإبراهيم « فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. (*) وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»[1].

كما تُكرِّر وعود الرَّب لإسحاق حيث تقول التوراة: « وَكَانَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَارَ. (*) وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: «لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. (*) تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. (*) وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ»[2].

وكما تكرر وعد الرَّب يتكرر كذلك وعيده وتهديده لأعداء شعبه

(١) سفر التكوين ١٢/٢، ٣.

(٢) سفر التكوين ٢٦/١، ٦.

المختار في ضوء ما تصوره التعاليم التوراتية القائلة:

« فَإِنَّهُ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ. كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ. (*) لأَنَّهُ كَمَا شَرِبْتُمْ عَلَى جَبَلِ قُدْسِي، يَشْرَبُ جَمِيعُ الأُمَمِ دَائِمًا، يَشْرَبُونَ وَيَجْرَعُونَ وَيَكُونُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا (*) وَأَمَّا جَبَلُ صِهْيَوْنَ فَتَكُونُ عَلَيْهِ نَجَاةٌ، وَيَكُونُ مُقَدَّسًا، وَيَرِثُ بَيْتُ يَعْقُوبَ مَوَارِيثَهُمْ. (*) وَيَكُونُ بَيْتُ يَعْقُوبَ نَارًا، وَبَيْتُ يُوسُفَ لَهِيبًا، وَبَيْتُ عِيسُو قَشًّا، فَيُشْعِلُونَهُمْ وَيَأْكُلُونَهُمْ وَلاَ يَكُونُ بَاقٍ» (١).

هذا الزعم الذي يؤكد على أن جميع الأمم ستباد، ولن يبقى إلا بيت يعقوب الذي اطلق عليه الرَّب اسم إسرائيل، والذي يتأكد له الوعد مرَّة أخرى مخاطبًا إياه بقوله: « أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. (*) وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. (*) وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ» (٢).

وهكذا نجد الإله الخاص باليهود مهرولاً في أعقاب شعبه متعلقًا بأذيالهم يرافقهم هنا وهناك يرجوهم أن يعبدوه، ويتغاضى عن أخطائهم وهفواتهم، وهو في سبيل ذلك يمعن في إطلاق وعوده لإبراهيم ولأولاده ومصرًا على إعطاء تلك الأرض لأولئك القادمين من آرام دون بقية العالمين،

(١) سفر عوبديا ١/١٥ - ٢٠.

(٢) سفر التكوين ٢٨/١٠ - ١٥.

في محاولة لإرساء أسس تاريخية وغيبية لمخطط السيطرة ليس على أرض الكنعانيين فحسب بل على باقي الأمم.

وبالرغم من تتالي الوعود الإلهية لكن العقل والمنطق يظلان في جهة ودوافع الأحبار والحاخامات كتبة هذه التعاليم في جهة أخرى «فالحاخامات صوروا الرَّب شغوفًا بإبراهام، لينقلوا هذا الشغف بشكل أوتوماتيكي إلى نسله... وقد ظل يظهر له مرة متجسدًا، ومرة في المنام، وحينًا في شكل رجل مسافر... كما كان شغوفًا بنسله حيث ظهر ليعقوب وإسحق، وفي كل مرة كانت عطايا الرَّب الولهان بإبراهام، ونسله تتسع تماشيًا مع مطامع الكهنة والأحبار، وفي كل مرة تتسع شراهة نسل إبراهيم وتزداد، ويزداد ابتزازهم لربهم الحالم أن يعبدوه، حيث يحيدون عن عبادته عندما يريدون منه شيئًا، فيغدق لهم الوعود فقبل ارتحال إبراهام إلى مصر ظهر له الرَّب وقال: «لنسلك أعطي هذه الأرض وكان كنعان حينئذ في الأرض»، ثم عاد فظهر له بعد خروجه من مصر وقال له: « جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد قم وامشي فيها طولاً وعرضًا لأني أعطيها لك» ثم عاد وظهر له في المنام وقال له: «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض فترثها»[(١)(٢)].

يقول الأستاذ شفيق مقار معللاً هذه الوعود من قبل الرَّب لإبراهام ونسله: «إن وعود الرَّب لإبراهام لم تكن سوى تبريرًا لتوسعيه الجوع

(١) سفر التكوين ١٥/١ - ٨.

(٢) انظر: القتل عقيدة يهوه وأتباعه ص ٥٠.

الكهنوتي اليهودي واشتهائهم لامتلاك أراضي الأقوام المتحضرة من المصريين، والكنعانيين، والآشوريين والتي ظلت العشائر الآرامية من البدو الرحل تائهة فيها بحثًا عن أرضه يسيطرون عليها، وما لا يمتلكونه، ولكنهم يربطون هذه الوعود بطاعة إلههم الخاص حيث تقول التوراة: « وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ(*) وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ»[1][2].

ويتكرر ظهور الرَّب لإسحاق بن إبراهام حيث يغدق عليه أيضًا الوعود ذاتها، وفي ذلك تقول التوراة: « لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ.... مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي»[3].

وبعد إسحاق يظهر الرَّب ليعقوب في المنام نازلاً من السماء قائلاً له: « أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ.... لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ»[4].

ثم يتكرر الوعد مرة أخرى لكن في هذه المرة ليوشع بن نون ليغدق عليه إله إسرائيل الوعود ذاتها كما تشير إلى ذلك التوراة التي تقول: « وَكَانَ

---

(١) سفر التكوين ١٧/٧، ٨.

(٢) قراءة سياسية في التوراة ص ١١٥.

(٣) سفر التكوين ٢٦/١ - ٥.

(٤) سفر التكوين ٢٨/١٣ - ١٥.

بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بن نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلاً: (*) «مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمُ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. (*) كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. (*) مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعِ أَرْضِ الْحِثِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخْمُكُمْ. (*) لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ. لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ. (*) تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ، لأَنَّكَ أَنْتَ تَقْسِمُ لِهذَا الشَّعْبِ الأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لآبَائِهِمْ أَنْ أُعْطِيَهُمْ»[1].

وهنا يلج السؤال لماذا يطارد هذا الرَّب أولئك الآراميين التائهين كما وصفته التوراة ذاتها، ويصر على إغداق الوعود والعطايا عليهم دون حساب ودون تفكير بأصحاب الأرض التي يعدهم بها؟

ليعيد الجواب نفسه ألا وهو تنفيذًا لرغبات الكهنة والحاخامات في امتلاك الأرض واستعباد العباد.

لكن هل هو نفس الرَّب الذي نعبده اليوم أم أن ربهم خارج من الأساطير التي كانت شائعة حينها في أوساط الناس الذين سكنوا بينهم ؟

ويجيب على هذا السؤال الأستاذ شفيق مقار حيث يقول: «التوراة لا تحدد بطبيعة الحال اسم إله الآراميين فتسمية الرَّب حينًا والإله حينًا آخر، ومرات قليلة جدًا تقول الله... والذي يؤكده العلم ويرويه التاريخ أن الآراميين كانوا يعبدون إلههم (حداد) الذي عرف أيضًا باسم (بغل حداد) وأنهم عندما

(١) سفر يشوع ١/١- ٧.

خرجوا من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان جاءوا به معهم، ومن الوظائف الأسطورية الرئيسية (لحداد) وغير أحداث الرعد والظواهر الجوية، كونه (إله العقود والمواثيق) وهو ما يجعل من الطبيعي أن يظل مؤلفوا حكايات التوراة يتحدثون عن عقوده ومواثيقه مع عباده الآراميين الرحل، إبراهام، وإسحاق، ويعقوب، وعندما عاش الآراميون وقتًا في أرض كنعان استعاروا لأنفسهم إلهًا جديدًا هو إيل إله الكنعانيين، وطبقًا لرواية سفر التكوين يكون إيل (الذي ظهر ليعقوب نازلاً من السماء على سلم ولم يعرفه يعقوب لأنه كان يعلم أن إلهه حداد كان هناك وراءه في مضارب أبيه) [1] وقد وقع في عشق أولئك الآراميين وقرر أن يغدر بعباده الكنعانيين ويعطي وطنهم لأولئك البدو الرحل الجياع الخارجين من الصحراء...

ثم يقطع الأستاذ شفيق مقار بأن هذه الروايات بعيدة تمام البعد عن معطيات المنطق والعقل ولم تكن سوى أساطير مسروقة من حكايات فولكلورية تحفظها وترددها شعوب المنطقة... » [2].

(١) لمزيد في التفاصيل انظر: سفر التكوين ١٦/٢٨، ١٧/٢٨ - ٢١.

(٢) انظر: قراءة سياسية في التوراة ص ٥٥، ١١٥.

المبحث الثاني
الاستعلاء العنصري في التلمود

لم تكن التعاليم الواردة في التلمود بأقل حظًا من سابقتها الواردة في التوراة التي تجردت من معاني الإنسانية، وانطوت على ألوان من التعصب الذميم، وإنكار للقيم الخلقية الرفيعة كمظهر من مظاهر المحاباة والتعصب لهذا الدم اليهودي.

وبهذه النزعة الجائرة يتعامل اليهود مع غيرهم من الشعوب على أساس من التمييز المصحوب بالاستعلاء العنصري، والغرور، والنظرة الدونية، والاحتقار للآخر بالرغم من ادعائهم محبة الآخرين فهم « يعتقدون أن الله ميزهم عن شعوب الأرض في كل شيء في أجسادهم وأرواحهم ومصيرهم في اليوم الآخر فهم يزعمون أنهم خلقوا على هذه الصورة البشرية استحقاقًا لذلك، أما الشعوب الأخرى فقد خلقت على نفس الصورة من أجل أن يسهل على اليهود تسخيرهم للخدمة، ولكي يأنس الأسياد بالعبيد فهم عندهم بهائم في صورة بشر» [(١)].

ويمثلون أنفسهم حسب تصوير الحكيم السمؤل المغربي الحبر اليهودي السابق: بعناقيد العنب، وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالي حيطان الكرم، وهذا من قلة عقولهم ونظرهم فإن المعتني بمصالح الكرم، إنما يجعل على حيطانه الشوك حفاظًا وحياطة للكرم، ولسنا نرى اليهود من بقية الأمم إلا

(١) اليهود...: د/ سيد بن حسين العفاني مجلد ١ ص ٦٩، مكتبة معاذ بن جبل القاهرة، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

الضرر والذل والصغار وذلك مبطل لقولهم»[1].

والمطالع لما ينقل من التلمود من تعاليم يدرك بوضوح كيف تفرق هذه التعاليم بيت اليهودي وبين غيره من الأمم، وأن هذا الفرق كمثل الفرق بين درجة الإنسان والحيوان.

حيث تؤكد تعاليم التلمود أن اليهودي يختلف عن بقية الأمم، وأن اختلافه عنهم يأتي من أصل الخلقة أي من النطفة التي خلق منها كل منهما، فاليهودي بناءً على هذا الزعم خلق من نطفة الإله - جل الله وتعالى عما يقول الظالمون - لذا فهو من الله ابن، أو بمنزلة الابن من أبيه، أما الأمميون - غير اليهود - فقد تضاربت الآراء في التلمود، فيذكر التلمود أحيانًا: أن غير اليهود إنما جاءوا من نطفة حصان.

فقد ورد في التلمود: «أن النطفة التي خلق منها باقي الشعوب الخارجين من الديانة اليهودية هي نطفة حصان»[2].

وفي مكان آخر يذكر التلمود أن الأمم الأخرى هي من نطفة شيطان ذكر أو من خلية شيطانية أنثى، وقد ورد في التلمود: «أن آدم بعد أن عصى ربه، وغضب الله عليه، وطرده من الجنة كان يعيش تعيسًا، وقد أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلاً تعيسًا، وقد أحضرت له - في هذه الفترة - شيطانتين فكان يجامعهما»

---

(١) بذل المجهود في إفحام اليهود: السمؤل بن يحيى، تعليق/ عبد الوهاب طويله ص ١٠٢ هامش، دار القلم - دمشق - الدار الشامية، بيروت - لبنان.

(٢) التلمود تاريخه، تعاليمه، خفاياه: د/ محمود محمد مزروعة ص ٣٠٦.

ومن نسله من هاتين الشيطانتين جاءت الأمم الأخرى غير اليهودية فالأمم من أبيهم آدم لكن أمهاتهم من نسل الشياطين.

يقول التلمود: « وأما حواء فلما انعزل عنها آدم فقد كان يأتيها ذكور الشياطين فيجامعونها وتلد منهم شياطين على الهيئة الآدمية» (١).

ويذكر التلمود أنه حتى اليوم ما يزال يولد بين الأمم جملة من الشياطين ليس من حواء، وذكور الشياطين، ولا من آدم، وإناث الشياطين، ولكن من نسل هؤلاء وأولئك فالذين تولدوا من معاشرة آدم وإناث الشياطين ومعاشرة حواء لذكور الشياطين هؤلاء هم أجناس الأمم الأخرى غير اليهودية.

وتأكيدًا على معنى أن الأمم ليسوا آدميين فقد جاء في التلمود: «أن اليهودي يتنجس إذا لمس قبور اليهود وفقًا للتوراة، ولكنه لا يتنجس إذا لمس قبور غير اليهود من الأمميين، لأنهم ليسوا من أولاد آدم بل هم بمقام الحيوانات».

ويكرر التلمود أنه لا قرابة بين اليهود والأمم الخارجة عن اليهودية لأن الأمم غير اليهودية هم أشبه بالحمير، وبيوتهم اشبه بزرائب الحيوانات، ومعابدهم ودور عباداتهم أنجس من زرائب الحيوانات.

يقول الرابي «مناحم» في التلمود: « أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة» (٢).

(١) السابق ص ٣٠٦.

(٢) التلمود تاريخه، تعاليمه، خفاياه: د/ محمود محمد مزروعة ص ٣٠٧، وانظر: فضح

ومن بين الأسباب التي قدمها التلمود للنجاسة الأغيار: أنهم يأكلون أطعمة نجسة، ولأنهم هم أنفسهم لم يتطهروا من الخطيئة على جبل سيناء وفي هذا يقول الرابي «شابان»: « لماذا الغويم (*) نجسون؟ لأنهم لم يكونوا موجودين على جبل سيناء ؛ لأن الأفعى حين دخلت في حواء سكنت فيها النجاسة، لكن اليهود تطهروا من ذلك حين استمروا واقفين على جبل سيناء فيما لم يكن «الغويم» في ذلك الحين على جبل سيناء فلم يتطهروا» (١).

لهذا لا يعتبر التلمود قتل غير اليهودي جريمة بل فعل يرضي الله فقد جاء فيه: «إن لحم الأممين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم... ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي» (٢)(**).

=

التلمود الآب آي بي برانايتس، إعداد / زهدي الفاتح ص ١٧، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط الرابعة ١٩٩١م.، أحجار على رقعة الشطرنج ص١٥٦

(*) الغويم: جميع الأمم من غير اليهود.

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٩١، ٩٢، ط دار العلوم، بيروت ط ١٩٨٧م.

(٢) السابق ص ٩٢.، أحجار على رقعة الشطرنج ص١٥٧

(**) لهذا يعتبر الحاخام «جنسبرج» أن قتل اليهود لغير اليهود لا يعتبر جريمة تبعًا للديانة اليهودية وأن قتل العرب الأبرياء بغرض الانتقام يعتبر فضيلة يهودية... ورأى أنه إذا كان هناك شخص يهودي بحاجة إلى كبد فهل يمكنه أن يأخذ كبد شخص غير يهودي بريء لإنقاذ حياته ! إن التوراة تسمح له بذلك على الأرجح فالحياة اليهودية لا تقدر بثمن فهناك شيء أكثر قداسة وتفردًا في الحياة اليهودية عنه في الحياة غير اليهودية. (انظر: الأصولية اليهودية: إسرائيل شاحاك، ترجمة / ناصر عفيفي ٦٠/٣ مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٤م.، ومملكة داوود وسليمان العبرية أوهام لا نهاية لها

=

كما اعتبر الحاخام «أريل» أن الخارجين عن دين اليهود بمثابة خنازير نجسة تسكن الغابات، وهذا يفترض على المرأة اليهودية إذا اغتسلت ثم رأت عند خروجها من الحمام شيئًا نجسًا عليها أن تعيد اغتسالها مرة ثانية - حسب شريعتهم - وكذلك إذا رأت كلبًا، أو حمارًا، أو خنزيرًا، أو مجنونًا أو آراميًا أو رجلاً أو حصانًا أو مجذومًا فعليها أن تعيد كذلك غسلها لأن هذه الأشياء كلها ومنها الأمي الذي يعد في عرف هذا الحاخام وغيره نجس يوجب على المرأة أن تعيد غسلها ».

وفي هذه النصوص يسوي التلمود بين الأجنبي، وبين الكلب والحمار وبقية الحيوانات لكن هناك نصوصًا كثيرة في التلمود تفضل الكلب على الأجنبي.

حيث ورد: « أن الكلب أفضل من الأجانب - غير اليهود والدليل على ذلك أن اليهودي مصرح له أن يطعم الكلب حين يراه جائعًا، ولكنه غير مصرح له أن يطعم الأجنبي مهما بلغ به الجوع، وإذا كان مع اليهودي قطعة من اللحم فحرم عليه أن يطعمها لأجنبي لكن له أن يطعمها للكلب فإن الكلب أفضل» [1].

=

ص١٥٦.

(١) انظر: المسلمون والمسيحيون في تلمود اليهود: عبد العظيم إبراهيم المطعني ص ٣٣ مكتبة وهبة القاهرة، التلمود تاريخه، تعاليمه، خفاياه ص ٣٠٧، ٣٠٨.

وقارن ذلك الحقد واللؤم اليهودي على سائر البشر بقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» دون تمييز. انظر الحديث (صحيح البخاري) الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن

=

وهنا يأتي السؤال إذا كانت الأمم غير اليهود حيوانات فلماذا خلقها الله على هيئة البشر، ولم يبقها على هيئتها الحيوانية؟

هنا ينبري حاخامات اليهود ليجيبوا عن هذا السؤال الذي يعتبرونه ساذجًا فيقولون: إن الله خلق ثلاثة أصناف خلق الحيوانات على هيئتها لخدمة الأمميين وخلق الحيوانات والأمميين لخدمة اليهود، فالمخلوقات جميعًا خلقت لخدمة اليهود ولولا اليهود ما خلق الله العالم، ولا خلق شيئًا مما هو موجود، لكن الله خلق جميع الحيوانات لخدمة اليهود، وترك أصنافًا منها على هيئتها الحيوانية وذلك مراعاة لصالح اليهود، ثم غير من هيئة أصناف أخرى من الحيوانات فخلقها على هيئة البشر وما هم ببشر، وكان سبحانه قادرًا على إبقائها على هيئتها الحيوانية لولا أنه راعى مصلحة اليهود وراحتهم النفسية فاليهود ما كانوا يستريحون إذا قام الأجانب على خدمتهم وهم في صورهم الحيوانية لأنه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلاً ونهارًا حيوان وهو على صورته الحيوانية، كذلك لا يناسب اليهودي أن يخدمه ليلاً ونهارًا كلب أو خنزير أو حمار أو خادم على أية صورة حيوانية.

من أجل ذلك - فقط - خلق الله الأمم على هيئة البشر بينما هم في الحقيقة حيوانات مسخرة لخدمة اليهود ولا فرق بينها وبين الحيوانات التي

=

إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، تحقيق / مصطفى ديب البغا، باب الآبار على الطريق إذا لم يتأذ بها ٨٧٠/٢ حديث (٢٣٣٤)، باب رحمة الناس والبهائم ٢٢٣٨/٥ حديث (٥٦٦٣) عن أبي هريرة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -، دار ابن كثير - اليمامة، بيروت ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. (صحيح مسلم) باب فضل سقيا البهائم المحترمة وإطعامها ١٧٦١/٤ حديث (٢٢٤٤).

هي على صورتها الحيوانية.

وبناءً على ما تقدم فإن اليهودي لا يعتبر هناك قرابة تجمعه مع الأممي أيًا كان دينه أو جنسه لأنه لا قرابة بين إنسان وحيوان ولا يمكن أن يعتبر الحيوان قريبً للإنسان(١).

وتمتد هذه العنصرية التلمودية لتشمل نساء الأجانب كاسرة أسوأ المحرمات فبينما يرد في التوراة « لا تشته امرأة قريبك »(٢).

فإن التلمود لا يعتبر القريب إلا اليهودي فقط... فإتيان زوجات الأجانب جائز وقد استنتج الحاخام « رش» أن « اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة، والعقد لا يوجد في البهائم وما شاكلها ... »(٣).

ولم يكتف التلمود بعدم تجريم اليهودي إذا زنى بامرأة غير يهودية بل يؤكد أن اغتصاب النساء غير اليهوديات حق لليهود إذا أرادوا ذلك حيث

---

(١) انظر: التلمود تاريخه، تعاليمه، خفاياه ص ٣٠٨، ٣٠٩.، الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٥.

(٢) سفر الخروج ١٧/٢٠.

(٣) انظر: سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية: نصار غنيمة ص ٣٢، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ط ١٩٥٦م. القتل عقيدة يهوه وأتباعه ص ٥٦.، فلسطين والأقصى الوديعة والميراث: خيري أحمد مكاوي ص ٦١ مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

يقول الرابي «ميموند»: «إن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات»[١] أي غير اليهوديات.

وفي هذا الإطار نفسه يقول الحاخام «تام» الذي كان في الجيل الثالث عشر في فرنسا: «إن الزنى بغير اليهود ذكورًا كانوا أو إناثًا لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات»[٢].

وتمتد عنصرية التلمود إلى التعاملات اليومية مع الناس فيبيح الزور والكذب والنفاق، فاليمين مثلاً لا تلزم اليهودي أمام الأجانب لأنها لا تعتبر يمينًا لأنه كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعتبر يمينًا لأن اليمين إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا فإذا اضطر اليهودي أن يحلف لمسيحي فله أن يعتبر ذلك اليمين كلا شيء على أنه لا معنى للنزاع القائم بين يهودي وغير يهودي بخصوص الملكية لأن التلمود يقرر أن أموال الأجانب ودمهم من ممتلكات اليهود ولهم حق التصرف المطلق فيها....[٣].

كما يؤكد التلمود على أن اليهودي ينتمي إلى شعب الله المختار وهو مختون وذو منزلة رفيعة سامية لا يشاركه في مستواها أحد ولا حتى الملائكة... لذلك فإنه مبجل كالإله.

وفي ذلك يقول الرابي « شانينا»: « من يضرب إسرائيليًا فهو بفعلته هذه

---

(١) الدعاية الصهيونية: ممدوح الزوبي ص ٣٦ دار ابن كثير، دمشق - سوريا،ط الأولى ١٩٩٢م.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٩٥.

(٣) الدعاية الصهيونية ص ٣٦.

يهين وجه الله المقدس»[1].

كما يعتبر التلمود أن جميع أنواع التعامل بين المسيحيين والأجانب مفسدة وانتقاصًا من قدر كرامة اليهود وعلى هذا فالمفروض على اليهود أن يتعهدوا بالابتعاد قدر المستطاع في عيشهم وتعاملهم مع الأجانب ويفرض عليهم تصرفات كريهة ضد الأجانب والتي منها:

١- على اليهودي أن لا يحيي مسيحيًا أو أجنبيًا حيث يقول الرابي «غيتن»: «على اليهودي ألا يدخل بيت نوخري في يوم عيد لتحيته أما إذا التقاه في الطريق فيستطيع تحيته لكن بشكل مقتضب وفظ وبرأس ملتو ».

٢- على اليهودي ألا يرد على تحية مسيحي أو أجنبي حيث يقول « أيورجيا»: «على اليهودي ألا يرد على تحية مسيحي بالانحناء أمامه، ومن الأفضل تحيته أولاً لتجنب الرد عليه إذا بدا الآكوم التحية »، فيما يقول الرابي «لوهانا»: حين يحيي يهودي مسيحيًا أن يقول له السلام على ربي لكنه يقصد بذلك السلام على رابيه.

٣- على اليهودي ألا يمثل أمام قاضي أو أجنبي حيث يقول التلمود: « لا يجوز لليهودي أن يرفع دعواه أمام قضاة (آكوم) حتى ولو كان قد فصل القانون اليهودي في هذه القضية من قبل، بل حتى ولوافق كلا الفريقين المتنازعين على تحمل نتائج مثل هذه الأحكام القضائية، من يفعل ذلك فهو غير تقي، عاق ويشبه المفترى والمجدف على الله وهو يرفع يده إلى أعلى ضد القانون الذي منحنا إياه موسى المشرع العظيم.

(١) فضح التلمود ص ١١٢، أحجار على رقعة الشطرنج ص١٥٧

٤- لا يجوز قبول مسيحي أو أجنبي شاهدًا أمام القضاء اليهودي.

٥- لا يجوز لليهود أن يأكلوا طعام الأجانب حيث يقول الرابي «أيوردیا»: « حرم الشيوخ أكل خبز (الأكوم) خشية أن نبدوا وكأننا مثلهم » كما يقول «أيهوداه زاداه»: « محرمة الأشياء التالية الخاصة بالغويم الحليب الذي يستدره الغوي من البقرة في غياب اليهودي... ومحرم أيضًا خبزهم ».

٦- على اليهودي ألا يحاكي الأجنبي في أي عمل، حيث يقول «أيوردیا»: « لا يجوز لليهودي أن يحاكي «الآكوم» وعاداتهم، ولا أن يتصرف مثلهم ولا يجوز أن يرتدي ثيابًا كثياب الأكوم، ولا أن يمشط شعره مثلهم، ولا يسمح لليهود أن يقيموا بيوتًا تشبه في أشكالها معابد الآكوم »[1].

كما ينظر التلمود إلى الأجانب على أنهم:

١- نجسون حيث يرى التلمود أنه يكفي لليهودي أن يعلم أن لمس الأجنبي فقط يكفي لتنجيسه... وأن كل إناء يجب غسله إذا اقترب من مالكه اليهودي أجنبي.

٢- وثنيون ويجب تجنبهم حيث يقول التلمود: « لا يجوز بيه ولا شراء أي شيء من الوثنيين قبل ثلاثة أيام من أعيادهم، ومحرم أيضًا قبول أو تقديم أي مساعدة منهم أو إليهم، ولا يتبادل قرش واحد من المال معهم، ولا تسديد أي ديون لهم أو استيفاء أي ديون منهم»، ويشمل التلمود في ذلك المسيحيين حيث يقول الرابي: «بيروش بن ميمون»: «

(١) انظر: فضح التلمود ص ١١٢ - ١١٥ بتصرف.

محرمة جميع الأعياد الخاصة بأتباع يسوع، وعليه أن يكون سلوكنا نحوها هو سلوكنا إزاء الأعياد الوثنية »

كما يرد في التلمود فقرات عديدة تحرم التعامل مع غير اليهود، وفي مثل هذا يقول «أيورديا»: «يجب ألا ترضع الطفل حاضنه نوخري(غير يهودية) إذا كان من الممكن استخدام إسرائيلية لهذه المهمة لأن حليب النوخري يحجر قلب الطفل وينشأ في داخله قلبًا شريرًا »

« ويجب ألا يعهد بالطفل إلى آكوم لتلقينه أساليب الأدب أو الفن لأنه سيرشده إلى الهرطقة ».

« وحين يجرح يهودي بطريقة ما حتى وأن كان جرحًا خطيرًا إلى درجة تضطره إلى انتهاك حرمة السبت باستدعاء طبيب فإنه من المحظور عليه الاستفادة من طبيب مسيحي».

وأيضًا: « عليك ألا تحلق عند آكوم ما لم يكن برفقتك أحد أصدقائك اليهود ».

كما يقول « أيهوداه زاراه»: « قضي علينا رابيونا بشكل حاسم أنه لا يجوز أبدًا أن تتدخل امرأة غريبة في عملية ولادة طفل إسرائيلي لمولده لأن الأغيار مكرسون حياتهم لإراقة الدماء .... لأن النساء غير اليهوديات يسحقن عادة جمجمة الطفل الطرية بأيديهن ثم يقتلنه، ويستطعن ذلك دون أن تلاحظهم واحدة من الحاضرات»[1].

(١) انظر: فضح التلمود ص ١١٥، ١١٦.

ومن ثم ندرك كيف أن الفكر الديني اليهودي « قد صاغ العقلية اليهودية في إطار من العنصرية التي تسبغ على اليهود صفات المديح والتعظيم في الوقت الذي تتعامل فيه مع الشعوب غير اليهودية بسيل من الأوصاف العنصرية والشتائم التي تؤكد على الاستعلاء العنصري والذي هو أساس ثابت في تكوينها[1].

وعلى ضوء هذه الأفكار والتعاليم التي تزخر بها كتب اليهود المقدسة استقت الصهيونية واليهود بشكل عام وإسرائيل بشكل خاص عنصريتها وممارستها الكريهة، تلك العنصرية التي تكرست - كما ذكر سالفًا - في الشتات اليهودي عبر انعزال اليهود في أحياء خاصة بهم يمنع على أي يهودي العيش خارجها «حتى يتمكن قادتهم وحاخاماتهم من تلقينهم التربية اليهودية العنصرية وتحضيرهم لتنفيذ المخططات اليهودية، وكل من يشذ عن الأوامر مصيره الموت، لأن التآمر على الشعوب انطلاقًا من عقيدة الاستعلاء التي تبثها التوراة في نفوسهم مقرونة بنظرة الاحتقار إلى كل شعوب الأرض في عدوانية لا حدود لها، تكريسًا للروح العنصرية تآمر لم يتوقف.

والعنصرية اليهودية تتمثل الآن في إسرائيل التي تمارس عنصريتها ضد الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة والسوريين في الجولان واللبنانيين في الجنوب، كما تمارس عنصريتها ضد جميع الشعوب من أجل السيطرة على المنطقة وإقامة إسرائيل الكبرى[2].

---

(١) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ٣٠.

(٢) القتل عقيدة يهوه وأتباعه ص ٦١.

وهكذا تفضح تلك التعاليم سواء كانت توراتية أم تلمودية ممارسات هؤلاء ضد الآخرين من البشر وأن ما نفذ وينفذ عبر دولتهم ما هو إلا وحي من تعاليمهم(*) التي يقدسونها.

(*) لئن كانت للتعاليم التوراتية والتلمودية الأثر الكبير في تجذير الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي فإن بروتوكولات حكمائهم قد تضمنت الكثير من القواعد التي وضعت لتحقيق أحلامهم وفق هذه الخطط التنفيذية فيما يتعلق بالنظرة إلي الآخر، وبالسيطرة على العالم وعلى مقدراته وإثارة الفساد والفوضى والفتن، وبث روح العداوة والبغضاء ناهيك عن إشاعة الانحلال الخلقي والفرقة والخلافات واقتراف كل المنكرات دون نظر لعدد الضحايا أو حتى مجرد الاهتمام بذلك، حيث نقرأ في البروتوكول الخامس عشر على سبيل المثال:

« ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حين أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقًا يجب ألا تتوقف لحظة أمام الوسائل وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية إننا لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم الأمميين (غير اليهود).

ويتابع البروتوكول «ومع أننا ضحينا كثيرًا من شعبنا ذاته، فقد بؤناه الآن مقامًا في العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل إن ضحايانا وهم قليلون تسببًا قد صانوا شعبنا من الدمار، كل إنسان لابد أن ينتهي حتى بالموت والأفضل أن نعجل بهذه النهاية إلى الناس الذين يعوقون غرضنا لا الناس الذين يقدمونه.

(انظر: الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي ص ١٧٦، ١٧٧، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ط الرابعة بدون).

إذن فالوصول إلى الغاية وبحسب المنطق اللاهوتي ورأي حكمائهم، وتنفيذًا للمخططات التي يرسمونها يجب أن تنجز مهما كانت التضحيات ومهما كان عدد الضحايا.

المبحث الثالث
الاستعلاء العنصري في ميزان الإسلام

لا شك أن الاستعلاء العنصري يعَّدُ داءً خطيرًا يتنافى مع كرامة الإنسان ومبدأ العدل، والمساواة، وذلك لأن انتقاص الآخرين وازدرائهم، ووضعهم في خانات خاصة، يعَّدُ تعديًا صريحًا وصارخًا مع قيم العدل والمساواة والإنسانية التي نادى بها الشرع الحكيم.

إن العنصري هو الذي يستهويه الاستعلاء، وتأخذه الفوقية على أساس لا وجود له سوى في خياله وأحلامه الواهنة عندما يتفنن في استحضار الأسطورة والخرافة واللامعقول.

وما علم هذا المفتون أن أصل الخلق كلهم من طين قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾[1].

وقد تناسى هذا المفتون أن من حمل لواء هذا الفخر المذموم والعنصرية التافهة البغيضة هو «إبليس» - عليه لعنة الله - حين عارض الأمر الإلهي بالسجود تكريمًا لآدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾.[2]

وأن الباعث له على هذا هو حجته الواهية بأنه مخلوق من مادة - في زعمه - أنقى من تلك المادة التي خلق آدم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - منها فطرد من

(١) سورة الإسراء الآية (٦١).

(٢) سورة ص الآية (٧٠).

رحمة الله – تعالى – فكان من الغاوين إلى يوم الدين.

لقد أزال الإسلام الحنيف كل دعاوى الجاهلية رافضًا كل الفروق العنصرية والطبقية والتميز العرقي، والطبائع السيئة الموروثة، وكل ما يهدم القيم الحسنة والسلوك والأخلاق، ووقف بجانب الإنسان كإنسان موجبًا له العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، والحياة الكريمة مرسخًا مفهوم العزة والكرامة بغض النظر عن اللون أو الجنس، أو العرق، أو اللغة، وجعل العزة والكرامة حظًا أصيلاً لكل إنسان. قال الله – تعالى –: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١).

لهذا حارب الإسلام العنصرية والقبلية بشتى الطرق والوسائل حتى يضع الناس على قدم المساواة فلا أفضلية لأحد باللون أو الجنس أو غير ذلك، إنما الأفضلية في الإيمان بالله تعالى، وطاعته والعمل على مرضاته.

وإذا كان بنو إسرائيل قد قلبوا الحقائق وطمسوا معايير أصل الخلقة والوحي فزعموا أن الله – تعالى – قد اختارهم اختيارًا ذاتيًا، واصطفاهم اصطفاءً أبديًا لنوعيتهم الخاصة ولمزاياهم الشخصية فقد توسع القرآن الكريم في نقض هذه العقيدة فأبطلها إبطالاً صارمًا، وعرَّى النفسية اليهودية من كل دعاوى الزيف، والغرور، والاستعلاء، وزعمهم أنهم أولياء لله حتى لا ينخدع المؤمنون بأضاليلهم ببراهين قاطعة، وفي هذا يقول الحق تعالى: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

(١) سورة الحجرات الآية (١٣).

صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[1].

حيث يصف القرآن الكريم دعوى اليهود « في تفردهم بولاية الله تعالى بأنها زعم، والزعم مطية الكذب كما تقول العرب لذلك يتحداهم أن يتمنوا الموت، ليصلوا إلى غاية ما يتمناه وليّ الله إن كانوا صادقين، ولما كانوا هم أول من يعلم كذب دعواهم، وأنها دعوى خالصة للدنيا، وعارية عن البرهان لذلك لم يرفع أحدهم رأسًا في وجه التحدي القرآني ليتمنى الموت وإلا لعوجل على مكانته، وحرم من دنياه التي يعبدها من دون الله، ولعذاب الآخرة أخزى وأشق»[2].

ولهذا وصفهم الله تعالى بقوله:﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾[3].

كما سجل القرآن الكريم في ظل هذا الادعاء الكاذب افترائهم عليه بأنهم أبناؤه وأحباؤه فأبطل هذا الزعم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

(١) سورة الجمعة الآيتان (٦، ٧).

(٢) انظر: معركة الوجود بين القرآن والتلمود: د/ عبد الستار فتح الله سعيد، ص ١٦٠، ١٦١، ١٦١، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط الثالثة ١٤٥٠هـ.، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق / أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش ٩٦/١٨ دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٣) سورة البقرة من الآية (٩٦).

الْمَصِيرِ﴾ [1].

« ولم ينس القرآن الكريم أن يدعو اليهود الأنانيين أن ينظروا لأنفسهم نظرة إنسانية وليست عنصرية جنسية، فهم بشر مثل باقي البشر، وهم من خلق الله الذين خلقهم، وتنطبق عليهم كما تنطبق على الأمم الأخرى أحكام الله وسننه الثابتة، وتترتب عليهم في الدنيا ويوم القيامة آثار نتائج أعمالهم التي عملوها فيعذبهم إن ضلوا أو كفروا، ويرحمهم ويدخلهم الجنة إن آمنوا وأصلحوا وأحسنوا [2].

فالله تعالى هو العادل في أحكامه يرتب الجزاء على الأعمال دون محاباة أو تفرقه « وهذا برهان ناهض يبطل كل قول بالبنوة أو المحبة الخالصة، بل هذا البرهان من بني إسرائيل هو تاريخهم كله فإن أحدًا لم يذق عذابًا كعذابهم؛ لأن أحدًا لم يذنب كذنوبهم مع كثرة الذنوب في الأولين والآخرين من خلق الله » [3].

وليس أدل على ذلك من كثرة أنبيائهم « فكثرة الأنبياء التي نزلت لبني إسرائيل تدل دلالة قاطعة على فساد هذا الشعب وعصيانه لأنهم لو كانوا صالحين ما أرسل النبي بعد الآخر... فالأنبياء يرسلها الله للقوم الفاسقين لإصلاح حالهم، ومن فسوق شعب بني إسرائيل أن الله أرسل إليهم عدة أنبياء

(١) سورة المائدة الآية (١٨).

(٢) الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم: د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ١٣٥، دار القلم - دمشق - سوريا، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣) معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ١٦٢، ١٦٣.

في فترة زمنية واحدة أي في نفس الوقت»[1].

وإذا كان الإسلام الحنيف يرفض - بشدة - كل النزعات العنصرية بكل صورها وأشكالها فإن الفلسفة التي يقوم عليها موقف الإسلام في رفضه لهذه النزعات الاستعلائية وكيفية علاجها يتمثل في تقريره لمجموعة من المبادئ منها:

أولاً: قرر الإسلام بأن الناس جميعًا مخلوقون من أصل واحد هو التراب:

وتلك حقيقة يؤكدها القرآن الكريم في ضوء قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[3].

فحياتنا كلها ونشاطاتنا في جميع المجالات مرتبطة بذلك الأصل الذي خلقنا منه وهو الأرض، ووثق صلتنا بكل يعيش عليها من حيوان، ونبات، فهي الأم ونحن لها الأبناء.

لم يخلق واحدٌ منا من غير تربتها، ولم يعش واحدٌ منا على غير خيرها، ولم يدفن واحد منا في غير بطنها، فمنها خلقنا وإليها نعود وهذا من أعظم الأسباب في أن يتواضع البشر للبشر، وتلكم حقيقة كفيلة بأن يراجع أهل

---

(١) التوراة العقل - العلم - التاريخ: د/ بدران محمد بدران ص ٢١٤، دار الأنصار، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) سورة نوح الآيتان (١٧، ١٨).

(٣) سورة طه الآية (٥٥).

الصلف والغرور والكبرياء والاستعلاء مع الغير أنفسهم.

ثانيًا: قرر الإسلام أننا مولودون من أب واحد وأم واحدة:

فنسبنا جميعًا واحد، ونحن أخوة في هذه الأسرة الإنسانية الواسعة وإذا كان لبعض أفرادها نوع امتياز بلون أو شكل أو نشاط فذلك لا يغض من قيمته في أنه يشكل ركنًا أساسيًا في تآلف هذه المجموعة وتضامنها في عمارة الكون وتحقيق الخلافة في الأرض.

قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]، وفي قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أيها الناس إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباءِ، مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدمَ، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ، إنما هم فحمٌ من فحْمِ جهنمَ، أو لَيكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجِعْلَانِ التي تدفعُ بأنفْها النَّتِنَ»[2].

وتلكم حقيقة ينبغي أن تبعث في النفوس الإحساس بالأخوة الإنسانية،

---

(١) سورة النساء الآية (١).

(٢) رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وقال: حديث حسن. انظر: سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، باب التفاخر بالأحساب ٤٩٢/٤ حديث رقم (٥١١٨) دار الكتاب العربي بيروت - لبنان. الجامع الصحيح (سنن الترمذي) محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ٧٣٤/٥ حديث رقم (٣٩٥٥) دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، بدون.

بلا تفاوت ولا تفاضل ولا استعلاء.

يقول العلامة السعدي: « وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد -ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به» (١).

ومن ثم فلا حاجة للتفاوت، ولا حاجة للتفاخر ولا مكان للاستعلاء طالما أن الأصل واحد والنفس واحدة.

ثالثًا: قرر الإسلام أن الناس جميعًا مخلوقون لخالق واحد وهو الله سبحانه وتعالى:

فمبدؤهم منه خلقًا ونهايتهم إليه بعثًا وحسابًا، قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٢)، وقال أيضًا: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق / عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص ١٦٣، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) سورة يس الآية (٨٣).

(٣) سورة الروم الآية (٤٠).

فهو وحده تعالى المحيي والرازق والمميت والمعيد للنشور، وكلنا مدينون له بهذا كله، وليس له شريك فيه سواء أقر بذلك المؤمنون أم جحد الجاحدون.

ومن ثم فلا يكون لأحد منا فضل على الآخر في هذه النواحي الجامعة لمسيرة الحياة من مبدئها إلى منتهاها، وما يجري بينهما ولا شك أن معرفة هذه الحقيقة كفيلة بإذابة كل الفوارق التي يصطنعها البعض والحواجز النفسية والمادية التي تشيد كم قبل دعاة التفرقة العنصرية.

يقول الإمام محمد عبده - رحمه الله تعالى -: «رفع الإسلام كل امتياز بين الأجناس البشرية وقرر لكل فطرة شرف النسبة إلى الله في الخلقة وشرف اندراجها في النوع الإنساني في الجنس والفصل والخاصة وشرف استعدادها بذلك لبلوغ أعلى درجات الكمال الذي أعده الله لنوعها على خلاف ما زعمه المنتحلون من الاختصاص بمزايا حرم منها غيرهم وتسجيل الخسة على أصناف زعموا أنها لن تبلغ من الشأن أن تلحق غبارهم فأماتوا بذلك الأرواح في معظم الأمم وصيروا أكثر الشعوب هياكل وأشباحا»[1].

رابعًا: جعل الإسلام الناس موزعين إلى مجموعات نسبية على الرغم من اتفاقهم في هذه الأصول:

وذلك ليتميز بعضهم عن بعض، ولتعرف الحقوق وتحدد الواجبات ويسهل تنظيم أمر الجماعة فهذا الإجراء تنظيمي بحت لا يمس جوهر المساواة الحقيقية في الأصول المذكورة وهذا التوزيع نعمة من نعم الله لأنه

(١) رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده ص ٨٩، مطابع دار الكتاب العربي ط ١٩٦٦م.

مقتضى النظام، والنظام تستريح له النفس ويطمئن إليه القلب، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] كما أن تقسيم الشعوب إلى ألسنة وألوان دليل على قدرة الله وتمام إرادته واختياره في خلقه، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾[2][3].

خامسًا: قرر الإسلام أن ميزان التفاضل بين البشر هو الإيمان والعمل الصالح:

حيث جعل الإسلام هناك تفاوتًا في المعادلة بين البشر لا على الجنس أو اللون أو اللسان بل على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله تعالى، فالطبيعة البشرية واحدة وإن كان هناك اختلاف فهو لأمور عارضة كتأثير البيئة، وعدم اتاحة الفرصة للبعض أن يكمل نفسه، وحارب الإسلام أن يكون هناك تفاوت في المعاملة على غير هذا الأساس.

يقول الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٢) سورة الروم الآية (٢٢).

(٣) التفرقة العنصرية مقال على موقع أرشيف الإسلام:

http://archive.islamonlin.net

(٤) سورة الحجرات الآية (١٣).

يقول د/ محمد البهي - رحمه الله تعالى -: « إن الإسلام ضد التمييز العنصري فهو ينظر إلى الناس جميعًا نظرة المساواة في الاعتبار البشري، فلا يفضل إنسان على آخر ولا شعبًا على شعب، ولا قبيلة على قبيلة، ولا جماعة من الناس ترابطت على أساس غير إنساني على جماعة أخرى ترابطت أيضًا على أساس آخر هو غير إنساني كذلك، ولكن الإسلام في الوقت نفسه يميز بين الأفراد والجماعات بعد إقراره بالمساواة في الاعتبار البشري بما تنتهي به آية الحجرات..... « إن أكرمكم عند الله أتقاكم» فتذكر الآية أن مقاييس التفضيل للأفراد والجماعات عند الله لا يرجع إلى العنصر والعرق بل هو التقوى، هو تجنب المعاصي والآثام، هو تجنب المنكر والفواحش، هو أداء الواجبات المختلفة، هو أداء العبادات، هو الوفاء بالعهود...»[1].

ولقد أكد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على ذلك في خطبة الوداع في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «إن ربكم واحد ليس لعربي على عجمي فضل إلا بتقوى الله - عز وجل - ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب»[2].

---

(١) التفرقة العنصرية والإسلام: د/ محمد البهي ص ٧ مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين بن المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ) تحقيق / بكر حياني وصفوت السقا ٤٢/٢، مؤسسة الرسالة ط الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م،المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق / حمدي عبد المجيد السلفي ١٢/١٨، مطبعة العلوم والحكم، الموصل - بغداد، ط الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م،إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، كتاب الإيمان ٢١٨/١ =

كما يأتي تأكيده - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على قيمة التفاضل والخيرية المبنية على الطاعة والتفقه في الدين في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « النَّاسُ مَعَادِنُ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقُهُوا»[1].

وفي قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[2].

وبهذا الميزان تسقط جميع الفوارق بين البشر فلا يرتفع سوى ميزان واحد، وهو ميزان التقوى وليس على أساس العنصرية كما يدعي اليهود بل على أساس الطاعة لله رب العالمين.

سادسًا: يقرر الإسلام أن البشر متساوون جميعًا في المسئولية والجزاء:

لقد ساوى الإسلام بين جميع البشر في الحقوق والواجبات، وأنهم مطالبون بتكاليف إلهية دون أية اعتبارات ومن ثم فهم مجزيون على التزامهم وعلى طاعاتهم دون محاباة، كما هم مجزيون على تقصيرهم حيث لا ظلم ولا محاباة.

=

حديث (٣٠٣)، دار الوطن - الرياض - ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١) صحيح البخاري من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، باب قوله تعالى: « لقد كان في يوسف وأخوته» ١٢٣٩/٣ حديث (٣٢٠٣)، باب قوله تعالى: « يا أيها الناس إنا خلقناكم» ١٢٨٨/٣ حديث (٣٣٠٤).، مسلم في صحيحه، باب خيار الناس ١٩٥٨/٤ حديث (٢٥٢٦) ٢٠١٣/٤ حديث (٢٦٣٨).

(٢) الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، باب فضل الإجماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤ حديث (٢٦٩٩). أبو داوود في سننه باب الحث على طلب العلم ج٢ ص٢٥٥حديث٣٦٤٥،الإمام أحمد في مسنده تحقيق شعيب الأرناؤوط ج١٢ص٣٩٣ حديث٧٤٧ مؤسسة الرسالة ط الثانية١٤٢٠ه١٩٩٩م

فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1].

والآية نزلت في تخاصم أهل الأديان كما أشار إلى ذلك العَّلامة ابن كثير - رحمه الله - في قوله: « فَقَالَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ: كِتَابُنَا خَيْرُ الْكُتُبِ، وَنَبِيُّنَا خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ. وَقَالَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَقَالَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ: لَا دِينَ إِلَّا الْإِسْلَامُ. وَكِتَابُنَا نَسَخَ كُلَّ كِتَابٍ، وَنَبِيُّنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وأُمِرْتُم وَأُمِرْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِكِتَابِكُمْ وَنَعْمَلَ بِكِتَابِنَا. فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾»[2].

ومن ثم فلا يصح التفاضل في دين الله بالعنصر أو النسب، وإنما هي قيم ومعايير من حققها كانت له الحسنى وزيادة، ومن فرط فيها سقط على درجة الاعتبار، ولحق بالأنعام بل كان أضل سبيلاً مهما أدعى من سمو العنصر، ونبل الأعراق لأنه حينئذ يرتد إلى عقدة الشيطان وفتنة إبليس يوم تطاول بعنصره فطرد من رحمة الله وكان من الغاوين إلى يوم يبعثون.

سابعًا: نهي الإسلام عن الفخر بالآباء والأنساب والأحساب:

فإذا كان ميزان التفاضل بين الناس في ضوء الإسلام هو الطاعة والعمل الصالح فما ينبغي لأحد أن يتفاخر بحسبه أو نسبه ومن ثم فلا مكان لعرق أو

(١) سورة النساء الآية (١٢٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) تحقيق / سامي محمد سلامة ٤١٧/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

لون أو لسان في ميزان هذا التفاضل.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[1]، يقول الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله تعالى -: « فلا أنساب بينهم، أي أنهم يكونون أمام اللَّه تعالى على سواء، فلا أنساب بينهم يتفاخرون بها، ويعلو بعضهم على بعض بشرفهم ولا تفاوت بينهم بسببها، إنما الأعمال هي التي تكون مناط الفخر»[2].

كما يأتي قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أيها الناس إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباءِ، مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدمَ، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ، إنما هم فحمٌ من فحْمِ جهنمَ، أو لَيكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجِعْلَانِ التي تدفعُ بأنفْها النَّتِنَ»[3].

حيث اعتبر الإسلام ذلك من حمية الجاهلية وعصبيتها التي لا ينبغي لمسلم أن يكون عليها وبهذا يقطع الطريق أمام كل داع إليها.

كما يأتي قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - محذرًا من عصبية الجاهلية وتفاخرها: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[4].

وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ،

---

(١) سورة المؤمنون الآية (١٠١).

(٢) زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ) ٥١١٩/١٠ ط دار الفكر العربي القاهرة.

(٣) سبق تخريجه ص١٠٩٢.

(٤) سنن أبي داوود باب في العصبية ٤٩٤/٤ حديث (٥١٢٣) من حديث جبير بن مطعم.

أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»[1].

وبهذا يمنع الإسلام بكل قوة تلك والصلات الجاهلية القائمة على العصبية والفخر بالآباء والأسلاف.

ثامنًا: نهي الإسلام عن البغضاء والعداوة والكراهية:

ففي سبيل إزالة الإسلام لكل الفروق بين الناس نهى عن كل ما يزكي نار العصبية ويشعل جذورها من ألوان الحقد والحسد والبغضاء والعداوة والكراهية والقطيعة وإزالتها من النفوس حتى يتأتى التآلف ويتحقق التآخي حيث يأتي قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2].

يقول ابن عطية - رحمه الله -: « هذه الآيات والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية. وذلك لأنهم كانوا يجرون مع الشهوات نفوسهم لم يقومهم أمر من الله ولا نهي. فكان الرجل يسطو ويهمز ويلمز وينبز بالألقاب ويظن الظنون، فيتكلم بها. ويغتاب ويفتخر بنسبه إلى غير ذلك من أخلاق

(١) صحيح مسلم كتاب الأمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ١٤٧٦/٣ حديث (١٨٤٨) عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٢٦/١٣ حديث (٧٩٤٤).

(٢) سورة الحجرات الآية (١١).

النفوس البطالة. فنزلت هذه الآية تأديبا لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

كما يأتي قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - محذرًا « لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، ولا تقاطعوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[2].

وبهذا يقتلع الإسلام كل أسباب العصبية والاستعلاء والعداوة والبغضاء والشقاق من النفوس فتمتلئ الأرض في كل جنباتها بالمحبة والتآلف وينشر الخير والحب بين الناس، وهكذا كان موقف الإسلام صريحًا من هذا الاستعلاء ومن النزعات العدوانية ليس فقط ما يقوله ويفعله اليهود بل كل من تسول له نفسه أن يتميز على الناس بعنصره أو لونه فهذا ما يرفضه الإسلام؛ لأن الإسلام وضع المقياس الصحيح لهذا التميز الذي يتمثل في العمل الصالح وإسلام الوجه لله تعالى كأساس للسمو الإنساني والأخلاقي.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ) تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد ١٤٩/٥، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الهجر فوق ثلاث ١٩٨٥/٤، حديث (٢٥٥٩)، (٢٥٦٣) عن أنس بن مالك.، سنن أبي داوود باب فيمن يهجر أخاه المسلم ٤٣٠/٤ حديث (٤٩١٢). ومسند أحمد بن حنبل ١٩٩/٣ حديث (١٣٠٧٥).

الخاتمة

الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى.. وبعد، فمن خلال الجولة السابقة مع الاستعلاء العنصري والنزعة العدوانية في الفكر اليهودي يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

أولاً: أن الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي إنما جاء كرد فعل لحياة الاضطهاد والتشتت والسبي الذي لازمهم قديمًا.

ثانيًا: أن الاستعلاء العنصري سمة من سمات الفكر اليهودي بسبب ثبات العوامل الفكرية والنفسية والدينية وبسبب ما ينتهج من وسائل لتنميته وتجذيره.

ثالثًا: أن العنصرية اليهودية تعَّدُ من أسوأ العنصريات وذلك نظرًا لأنها قد أسست على نصوص وتعاليم مقدسة.

رابعًا: أن الاستعلاء العنصري في اليهودية هو دعوة منطلقة من بُعد ديني ترفع اليهود وحدهم على جميع البشر بادعاء الأفضلية، وأن الله اختارهم على العالمين وعلى غيرهم من شعوب الأرض بصفاء العرق ونقاء الدم.

خامسًا: أن اليهود إذا كانوا يدَّعون بأنهم شعب الله المختار فهو إدعاء باطل وليس لديهم أدنى أفضلية في هذا وما يساق حول هذا فهو مردود عليهم.

سادسًا: أن أفضلية اليهود ليست سوى مجازر وحشية وجرائم وعدوان ضد الإنسانية وقسوة وعنف تتنافى مع طبائع البشر وذوي النفوس السليمة.

سابعًا: أن الاستعلاء العنصري في الفكر اليهودي قد لعب دورًا هامًا في نشأة الدولة الصهيونية استنادًا إلى الرؤى الدينية والتاريخية بالعودة إلى أرض الأجداد.

ثامنًا: أن طبائع اليهود وفساد نفسياتهم وخبث طوياتهم لا يختلف عبر التاريخ سواء القديم منه أو الحديث، وهو تطبيق عملي لتعاليمهم في الفساد والإفساد في الأرض.

تاسعًا: أن الإسلام يرفض بشدة كل لون من ألوان التميز والاستعلاء والعنصرية ويعد ذلك من ميراث الجاهلية المزعومة والموروثة.

عاشرًا: ميزان الأفضلية في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح وطاعة الله تعالى وإسلام الوجه له وحده سبحانه.

حادي عشر: أن الإسلام أذاب كل الفروق بين الناس فنهى عن كل ما يزكى نار العصبية والكراهية والعداوة والبغضاء بالدعوة إلى الألفة والمحبة والتعارف والتآلف، والتعاون على البر والتقوى وليس على الإثم والعدوان.

هذا والله تعالى أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الكريم أنه تعالى نعم المولى ونعم النصير

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم: جلَّ من أنزله.

[١] الاتجاهات التعصبية: معتز سيد عبد الله، سلسلة عالم المعرفة (١٣٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ط ١٩٨٩م.

[٢] إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الوطن - الرياض - ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[٣] أحجار على رقعة الشطرنج: وليم غاي كار، دراسة وتقديم د/ الحسيني الحسيني معدي، دار الحرم للتراث القاهرة ط الأولى ٢٠١١م.

[٤] الإدعاءات الصهيونية والرد عليها: حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م.

[٥] أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٦] أساطير التوراة: عاطف عبد الغني مركز الحضارة العربية القاهرة - بدون.

[٧] الأساطير المؤسسة للتاريخ الإسرائيلي القديم: هشام محمد أبو حاكمه، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان - الأردن - دار الجيل ط ٢٠١٤م.

[٨] الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: روجية جارودي، تقديم / محمد حسنين هيكل، ترجمة / محمد هشام، دار الشروق القاهرة، ط ١٩٩٩م.

[٩] إسرائيل إلى أين ؟: ناحوم جولدمان، منشورات فلسطين المحتلة ط ١٩٨٠م.

[١٠] الإسرائيليون من هم ؟: سلسلة دراسات نفسية: قدري حنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١٩٨٣م.

[١١] الأسطورة فجر الإبداع الإنساني: د/ كارم محمود عبد العزيز، سلسلة الدراسات الشعبية رقم (١٦) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٢م.

[١٢] أصول علم النفس وتطبيقاته: فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ١٩٧٣م

[١٣] الأصولية اليهودية في إسرائيل: إسرائيل شاحاك وفورتون ميز فينسكي، ترجمة / ناصر عفيفي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٤م.

[١٤] أعمال إسرائيل الانتقامية ضد الدول العربية: محمد المجذوب، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية بيروت - لبنان ١٩٧٠م.

[١٥] أكاذيب التاريخ الكبرى: مجدي كامل، دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة، ط الأولى ٢٠١١ م.

[١٦] أمراض نفسية: كمال الدسوقي، سلسلة اقرأ (٢٥٧)، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤م

[١٧] أورشليم وأرض كنعان: حوار من أنبياء وملوك إسرائيل: إبراهيم الشريقي، شركة الشرق الأوسط للطباعة عمان - الأردن ١٩٨٥م.

[١٨] أوهام التاريخ اليهودي: جودت السعد، الأهلية للنشر والتوزيع - عمان - الأردن ط ١٩٩٨م.

[١٩] بذل المجهود في إفحام اليهود: السمؤل بن يحيى، تعليق/ عبد الوهاب طويله، دار القلم - دمشق - الدار الشامية، بيروت - لبنان.

[٢٠] تاج العروس من جواهر القاموس: محمد ابن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق/ مجموعة من المحققين دار الهداية.

[٢١] التاريخ الحقيقي لليهود: نجيب زبيب، دار الهادي، بيروت - لبنان ٢٠٠٢م.

[٢٢] تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ) تحقيق / مجدي باسوم، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٠م.

[٢٣] التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق / إبراهيم الإبياري دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ط الأولى ١٤٠٥هـ.

[٢٤] التعصب في الفكر الصهيوني: عبير سهام مهدي، صفحات للدراسات والنشر سوريا - دمشق، ط الأولى ٢٠١٢م.

[٢٥] التعصب والتمركز الثقافي والعرقي: قيس النوري، ضمن قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر، ط بغداد ١٩٧٠م.

[٢٦] التفرقة العنصرية والإسلام: د/ محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٢٧] تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) تحقيق / سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[٢٨] التلمود: أ. كوهن، ترجمة / سليم طنوس، دار الخيال بيروت - لبنان ط ٢٠٠٥م.

[٢٩] التلمود تاريخه، تعاليمه، خفايا: د/ محمود محمد مزروعة، مكتبة كنوز المعرفة السعودية، ط ١٤٣٢هـ.

[٣٠] التلمود والصهيونية: أسعد رزوق، سلسلة كتب فلسطينية (٣١) مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - لبنان ١٩٧٠م.

[٣١] التوراة السامرية: تقديم د/ أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، الأولى ١٩٧٨م

[٣٢] التوراة العقل - العلم - التاريخ: د/ بدران محمد بدران، دار الأنصار، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٣٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق / عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

[٣٤] ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية: ديزموند ستيوارت، ترجمة / فوزي وفاء، وإبراهيم منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط

١٩٧٤م.

[٣٥] جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (٢٢٤هـ - ٣١٠هـ) تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

[٣٦] الجامع الصحيح (سنن الترمذي) محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، بدون.

[٣٧] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق / أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

[٣٨] جذور البلاء: عبد الله التل، دار الإرشاد بيروت - لبنان.

[٣٩] الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية: خالد القشطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت - لبنان ط ١٩٨١م.

[٤٠] الحركات الهدامة: مسعود كريم، وخليل إبراهيم حسونة ط دار المدينة ١٩٨٦م.

[٤١] حكاية اليهود: زكريا حجاوي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ط ١٩٦٨م

[٤٢] حول الصهيونية وإسرائيل: هاني الهندي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧١م.

[٤٣] الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ط الرابعة بدون.

[٤٤] دراسات في علم النفس الاجتماعي: عبد الرحمن محمد عيسوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٤م.

[٤٥] دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة: محمد السعدي، دار الثقافة، ط الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[٤٦] الدعاية الصهيونية: ممدوح الزوبي، دار ابن كثير، دمشق - سوريا،ط الأولى ١٩٩٢م.

[٤٧] الدوافع العدوانية في النفسية اليهودية: يوسف محمد إبراهيم، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق - سوريا ٢٠١٥م.

[٤٨] الدين في القرار الأمريكي: محمد السماك، دار النفاس - بيروت - لبنان ط ٢٠٠٣م.

[٤٩] رابطة الدفاع اليهودية في أمريكا والكيان الصهيوني: نموذج للتنظيم الإرهابي العالمي: عبد الوهاب محمد الجبوري، مجلة بيت الحكمة، السنة الثانية العدد (٩) مارس ١٩٩٩م.

[٥٠] رسالة التوحيد: الإمام محمد عبده، مطابع دار الكتاب العربي ط ١٩٦٦م.

[٥١] رسائل بن جوريون دافيد بن جريون، ترجمة / ديانا عبد الحميد، دار القدس بيروت - لبنان ط ١٩٧٩م.

[٥٢] زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ) ط دار الفكر العربي القاهرة.

[٥٣] سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

[٥٤] السيرة النبوية: ابن إسحاق، تحقيق / مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

[٥٥] سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية: نصار غنيمة، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ط ١٩٥٦م.

[٥٦] الشخصية الإسرائيلية: د/ حسن ظاظا، دار القلم بيروت - لبنان ١٩٨٥م.

[٥٧] الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: رشاد عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة (١٠٢) المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، الكويت

١٩٨٦م.

[٥٨] الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم: د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق - سوريا، ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

[٥٩] صحيح البخاري: الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، تحقيق / مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - اليمامة، بيروت ط الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

[٦٠] صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[٦١] صفة التلمود والزوهار في الديانة اليهودية: أحمد سوسه، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية مجلد٣ ع ١ جامعة بغداد ١٩٧٤م

[٦٢] الصهاينة الجدد مهمة لم تنته: ناصر بن محمد الزمل، ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

[٦٣] الصهيونية حذار « دراسة سوفيتية في تاريخ وتنظيم وأيدلوجية الحركة الصهيونية »: يوري أيفانوف، ترجمة / ماهر عسل، دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٩م.

[٦٤] الصهيونية والعنصرية مجموعة باحثين مجلد ١، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت - لبنان ط ١٩٧٩م.

[٦٥] الصهيونية والنازية: معين أحمد محمود، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت - لبنان ١٩٧١م.

[٦٦] الصهيونية واليهودية في الصهيونية الواقع والمواجهة ندوة فكرية عقدها المجمع العلمي العراقي في الفترة ٥ - ٦ /١٢/ ١٩٩٥م، منشورات مكتب

الشئون الفكرية والدراسات حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ط بغداد ١٩٩٨م.

[٦٧] الصهيونية وربيبتها إسرائيل: عمر رشدي، دار القلم - بيروت ط ١٩٨٥م.

[٦٨] الصهيونية: منير ماشوش، دار الميسرة - بيروت - لبنان ط ١٩٧٩م.

[٦٩] العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية: د/ سعد الدين صالح، دار الصفا، ط الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

[٧٠] العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية: علي حسين الخربوطلي، المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٩م.

[٧١] علم الاجتماع: عبد الحميد لطفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ط ١٩٨١م.

[٧٢] علم النفس في حياتنا اليومية: سمير شيخاني، مكتبة الشرق الجديدة للنشر والتوزيع - بغداد ط ١٩٨٤م.

[٧٣] العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي د/ أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي، مطبعة العبيكان، ط الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[٧٤] فضح التلمود الآب آي بي برانايتس، إعداد / زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط الرابعة ١٩٩١م.

[٧٥] الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه: د/ حسن ظاظا، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٧٠م.

[٧٦] الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية: إشراف/ أنيس الصايغ، ترجمة / لطفي العابد وموسى عنز، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، القاهرة ١٩٧٠م.

[٧٧] فلسطين والأقصى الوديعة والميراث: خيري أحمد مكاوي، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[٧٨] قاموس الكتاب المقدس: جماعة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، مكتبة المشعل - بيروت - لبنان ط السادسة ١٩٨١.

[٧٩] قاموس علم الاجتماع: محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ١٩٨٩م.

[٨٠] القتل عقيدة يهوه وأتباعه: ممدوح الزوبي، الأهالي للطبع والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا ط الأولى ٢٠٠٠م.

[٨١] قراءة سياسية في التوراة: شفيق مقار، رياض الريس للكتب والنشر لندن ١٩٩١م.

[٨٢] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الكشاف) أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ

[٨٣] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين بن المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ) تحقيق / بكر حياني وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة ط الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

[٨٤] الكنز المرصود في قواعد التلمود: أوغست روهلنج، ترجمة / يوسف حنا نصر الله، بيروت ١٩٦٨م.

[٨٥] الكنز المرصود في قواعد التلمود، ط دار العلوم، بيروت ط ١٩٨٧م.

[٨٦] كيف يفكر زعماء الصهيونية ؟ أمين هويدي، دار المعارف القاهرة ١٩٧٤م.

[٨٧] لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ط الأولى دار صادر بيروت.

[٨٨] لمحات من تاريخ التطورات الاجتماعية في الغرب وظهور المشكلة اليهودية وقيام إسرائيل: قاسم حسن المحامي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ١٩٥٨م.

[٨٩] الله: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ط ٢٠١٣م.

[٩٠] ما بين موسى وعزرا كيف نشأت اليهودية ؟: د/ عبد المجيد همو، الأوائل

للنشر والتوزيع - دمشق - سوريا ٢٠٠٣م.

[٩١] المجتمع اليهودي: زكي شنودة، مكتبة الخانجي، القاهرة بدون.

[٩٢] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ) تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

[٩٣] المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ٢٠٠٠م.

[٩٤] المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق/ خليل إبراهيم جفال ٤٠٩/٤، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ط الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

[٩٥] مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (٧١٠هـ) خرج أحاديثه يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له / محيي الدين ديب، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٨م.

[٩٦] المسلمون والمسيحيون في تلمود اليهود: عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة.

[٩٧] مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٢٠ه - ١٩٩٩م.

[٩٨] مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى د/أمين عبد الله محمود، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ١٩٨٤م.

[٩٩] المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ؟ من ظهور إبرام حتى سقوط يهوذا:

محمود نعناعة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٢م.

[١٠٠] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي / أحمد بن علي المقرئ الفيومي المكتبة العلمية بيروت - لبنان.

[١٠١] معجم العلوم الاجتماعية: فردريك معتوق، مراجعة وإشراف / محمد دبس أكاديميًا انترناشيونال للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٩٨م.

[١٠٢] المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق / حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة العلوم والحكم، الموصل - بغداد، ط الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

[١٠٣] معجم المصطلحات الصهيونية: إفرايم ومناحييم تلمي، ترجمة / أحمد بركات، دار الجيل للنشر - عمان ١٩٨٨م.

[١٠٤] المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار- تحقيق مجمع اللغة العربية باب العين دار الدعوة، المعجم الوجيز: إعداد مجمع اللغة العربية ط المركز العربي للثقافة والعلوم والطباعة والنشر والتوزيع بدون - لبنان.

[١٠٥] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار الفكر ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[١٠٦] معركة الوجود بين القرآن والتلمود: د/ عبد الستار فتح الله سعيد، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط الثالثة ١٤٥٠هـ.

[١٠٧] مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ط الثالثة ١٤٢٠هـ.

[١٠٨] مفاهيم في الفلسفة والاجتماع: أحمد خورشيد النوره جي دار الشئون الثقافية العامة بغداد ط ١٩٩٠م.

[١٠٩] مقارنة الأديان اليهودية: د/ أحمد شلبي، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر

القاهرة، ط الخامسة ١٩٧٨م.

[١١٠] الملل المعاصرة في الدين اليهودي: إسماعيل راجي الفاروقي، مطبعة الجبلاوي ١٩٦٨م

[١١١] مملكة داود وسليمان العبرية أوهام لا نهاية لها: أحمد عزت سليم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط ٢٠١٣م.

[١١٢] موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٩م.

[١١٣] موسوعة المورد: منير البعلبكي دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ط ١٩٨١م.

[١١٤] موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د / عبد الوهاب المسيري ط دار الشروق القاهرة ١٩٩٩م.

[١١٥] موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: د/ عبد المنعم الحنفي مكتبة مدبولي القاهرة ط ١٩٧٥م.

[١١٦] نحن واليهود: كاظم محمد النقيب، دار المحيط للمطبوعات، بغداد ١٩٦٧م.

[١١٧] نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر اليهودي: د/ عبد الوهاب المسيري، المؤسسة العربية للدارسات والنشر بيروت - لبنان ١٩٧٩م.

[١١٨] النهاية في غريب الحديث والأثر: أبي السعادات المبارك نبن محمد الجزري، تحقيق/ طاهر الزاوي، محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية بيروت - لبنان، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[١١٩] نيتشه: د/ عبد الرحمن بدوي، سلسلة الفلاسفة (١)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٦م.

[١٢٠] نيتشه: د/ فؤاد زكريا، سلسلة نوابغ الفكر الغربي (١) ط دار المعارف القاهرة، ط الثانية ١٩٦٦م.

[١٢١] هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين ؟: يوسف أيوب الحداد، بيان

للنشر والتوزيع بيروت - لبنان بدون.

[١٢٢] همجية التعاليم الصهيونية: بولص حنا مسعد، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٦٩م.

[١٢٣] وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني: جمع وإعداد / سمير أيوب، دار حامد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ط ١٩٨٤م.

[١٢٤] الوعد الثانى لبني إسرائيل جلال عبد الفتاح، دار الثقافة العلمية القاهرة ٢٠٠٣م

[١٢٥] اليهود...: د/ سيد بن حسين العفاني مجلد ١، مكتبة معاذ بن جبل القاهرة، ط الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

[١٢٦] اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: غوستاف لوبون، ترجمة / عادل زعيتر، ط وكالة الصحافة العربية بالقاهرة ٢٠١٨م.

[١٢٧] اليهود والتحالف مع الأقوياء: نعمان عبد الرازق السامرائي، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع - لندن ١٩٩٩م.

[١٢٨] اليهودي العالمي، المملكة اليهودية نظرة أمريكية: هنري فورد، ترجمة / بدر الرفاعي مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط الأولى ٢٠٠٣م.

[١٢٩] اليهودية واليهودية المسيحية: د/ فؤاد حسنين، القاهرة، ط ١٩٩٨م.

[١٣٠] يوميات مناحييم بيجن: مناحيين بيجن، ترجمة / معين أحمد، دار المسيرة بيروت - لبنان ١٩٧٨م.

Index of sources and references

The Noble Qur'an: Glory be to He who revealed it.

[1] Al-Ettegahat Al-Ta'ssobeyyah: Moataz Sayed Abdullah, The World of Knowledge Series (137), The National Council for Culture, Arts and Literature - Kuwait, 1989 ad.

[2] Ethaf Al-Kheratil Maharah bizawae'd Al-Masaneed Al-Ashrah: Ahmed bin Abi Bakr bin Ismail Al-Busiri, Dar Al-Watan - Riyadh - First Edition 1420 AH - 1999 AD

[3] Ahjar Ala Ruq'at Al-Shataranj: William Guy Carr, Study and Presentation by Dr. Al-Husseini Al-Husseini Maadi, Al-Haram Heritage House, Cairo, First Edition, 2011 AD.

[4] Al Ede'a'at Al Suhyouneyyah wal Rad Alayah: Hussein Abdel-Hamid Ahmed Rashwan, Egyptian General Book Authority, Cairo 1997.

[5] Asas Al Balaghah: Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar bin Ahmed Al-Zamakhshari Jar Allah, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD

[6] The Asateer Al-Tawrah: Atef Abdel-Ghani, the Center for Arab Civilization, Cairo - without.

[7] Al-Asateer Al-Moassaesah Lil Tarikh AL-Israeli Al-Qadiem: Hisham Muhammad Abu Hakima, Al-Yazuri Scientific Publishing and Distribution House, Amman - Jordan - Dar Al-Jeel, 2014 AD.

[8] Al-Asateer Al-Moassaesah Ll Seyasah Al-Israeleyyah: Roger Jaroudi, presented by / Muhammad Hassanein Heikal, translation / Muhammad Hisham, Dar Al-Shorouk Cairo, 1999 ed.

[9] Israel ila Ayn? : Nahum Goldman, Publications of Occupied Palestine, 1980 AD.

[10] Al-Israeleoun man hom? : A Psychological Studies Series: Qadri Hanafi, Madbouly Library, Cairo, 1983 Edition.

[11] Al-Usturah Fagr Al-Ibdaa' Al-Insani: prof. Karem Mahmoud Abdel Aziz, Folk Studies Series No. (16), the General Authority for Cultural Palaces, Cairo, First Edition, 2002 AD.

[12] Usoul Elm Al-Nafs wa Tatbekatouh: Fakher Akiel, House of Science for Millions, Beirut - Lebanon 1973

[13] Al-Usuliah Al-Yahoudiah Fi Israel: Israel Shahak wa Fortun Miz Finsky, translation / Nasser Afifi, Al-Shorouk International Library, Cairo, first edition, 2004 AD.

[14] A'mal Isreal Al-Intiqamiah Dhid Al-Diwal Al-Arabia: Muhammad Al-Majzoub, Research Center of the Palestine Liberation Organization, Beirut - Lebanon 1970.

[15] Akathieb Al-Tariekh Al-Kubra:Majdy Kamel-Dar AL-Kitab AL-Arabi, Damascus, Cairo, First Edition, 2011AD

[16] Amrad Nafsieah:Kamal AL-Desouki Selselat Iqraa 257 –Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1984

[17] Urshalem wa ard Canaa'n : A Dialogue from the Prophets and Kings of Israel: Ibrahim Al-Shraiqi, Middle East Printing Company Amman - Jordan 1985 AD.

[18] Awham al-tarekh al-yahudi: Jawdat Al-Saad, Al-Ahlia Publishing and Distribution - Amman - Jordan 1998 AD.

[19] Bathl al-Maghoud fi Efham al-Yahoud: Al Samul Bin Yahya, Commentary / Abd Al-Wahhab Tawila, Dar Al-Qalam - Damascus - Dar Al-Shamiya, Beirut – Lebanon

[20] Tag al-arous min gawaher al-kamous: Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husseini, nicknamed Murtaza al-Zubaidi, edited by/ group of investigators Dar al-Hidaya.

[21] Al-tarekh al-hakiki llyahoud: Naguib Zbib, Dar Al-Hadi, Beirut - Lebanon 2002 AD.

[22] Ta'welat Ahl al-Sunnah (Tafsir al-Matredi) Muhammad bin Muhammad bin Mahmoud Abu Mansur al-Matredi (333 AH), edited by Majdi Basum, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, first edition, 1426 AH - 2000 AD.

[23] Al-Taa'refat: Ali bin Muhammad bin Ali al-Jarjani, edited by / Ibrahim al-Ibyari, Dar al-ketab al-arabi, Beirut - Lebanon, first

edition, 1405 AH.

[24] Al-Taa'sob fi al-fikr al-suhyouni: Abeer Siham Mahdi, safahat llderasat wa al-nashr, Syria - Damascus, First Edition 2012 AD.

[25] Al-taa'sob wa al-tamarkuz al-thaqafy wa al-erqi: Qais Al-Nouri, Within Problematic Issues in Contemporary Arab Thought, Baghdad, 1970 AD

[26] Al-Tafreqa al-unsuria wa al-Islam: prof. Muhammad Al-Bahi, Wahba Library, Cairo, First Edition 1399 AH - 1979 AD.

[27] Tafseer al-Qur'an al-azem (Tafsir Ibn Kathir) Abu al-Fida 'Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Dimashqi (700-774 AH), edited by Sami Muhammad Salama, Dar Taibah llnashr wa al-tawzea', Second Edition 1420 AH - 1999 AD.

[28] Al-Talmud: a. Cohen, translated by Salim Tannous, Dar Al Khayal, Beirut - Lebanon, 2005 AD.

[29] Al-Talmud tarekhoh taa'lemoh khafayah: prof. Mahmoud Muhammad Mazru'a, Library of the Treasures of Saudi Knowledge, 1432 AH.

[30] Al-Talmud wa al-sahyounyah: Asaad Razzuq, selselat kotob Phalastine (31) Palestine Liberation Organization Research Center - Beirut - Lebanon 1970

[31] Al-Torah al-sameryia: Presented by Dr. Ahmed Hegazy Al-Sakka, Dar Al-Ansar, Cairo, the first 1978

[32] Al-Torah, Al-Akl Al-Alm Al-Tarekh: Dr. Badran Muhammad Badran, Dar Al-Ansar, Cairo, First Edition 1399 AH - 1979 AD.

[33] Tayseer Al-Karim al-Rahman fi tafser Kalam al-Mannan: Abd al-Rahman bin Nasir al-Saadi, edited by / Abd al-Rahman bin Mualla al-Luaiq, Mou'sasat al-resala, First Edition 1420 AH - 2000 AD.

[34] Theodore Hertzl, mua'ses al-haraka al-suhyonia: Desmond Stewart, translated / Fawzi Wafa, and Ibrahim Mansour, Al-mu'asasa al-arabia llderasat wa al-nashr, Beirut, 1974 AD.

[35] Jami al-Bayan fi Ta'wil al-Qur’an (Tafsir al-Tabari) Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb al-Amili Abu Jaafar al-Tabari (224 AH - 310 AH) Edited by / Ahmad Muhammad Shaker, Mou'sasat al-resala , First Edition 1420 AH - 2000 AD

[36] Al-Jami al-Sahih (Sunan al-Tirmidhi) Muhammad bin Issa al-Tirmidhi al-Salami, edited by / Ahmad Muhammad Shaker and others, Dar ehyaa' al-turath al-arabi, Beirut - Lebanon, without.

[37] Al-Jami le Ahkam al-Qur’an (tafser al-Qurtubi): Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Faraj al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (died 671 AH) Edited by / Ahmad al-Baradouni, Ibrahim Atfeesh, Dar al-Kutub al-Masriya, second edition 1384 AH - 1964 AD

[38] Guthur al-balaa': Abdullah Al-Tal, Dar Al-Irshad, Beirut - Lebanon.

[39] Al-guthur al-tarikhia lilunsurya al-yahoudia: Khaled Al-Qashtini, Al-mou'asasa al-arabia llderasat wa al-nashr, Beirut - Lebanon 1981 AD.

[40] Al-Harakat Al-Hadama: Masoud Karim and Khalil Ibrahim Hassouna in Dar Al Madina in 1986.

[41] Hekayat Al-Yahoud: Zakaria Hijjawi, Dar Al-Kateb Al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo, 1968 AD

[42] Hawl al-suhyounya wa Israel: Hani Al Hindi, Dar Al Taleea Printing and Publishing, Beirut - Lebanon 1971.

[43] Al-Khatar al-Yahoudi: The Protocols of the Elders of Zion: Muhammad Khalifa al-Tunisi, Dar al-ketab al-arabi, Beirut - Lebanon, fourth edition without.

[44] Derasat fi ilm al nafs al egtimaa'i: Abd al-Rahman Muhammad Issawi, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon 1974 AD

[45] Derasa fi al-anageel al-arba'a wa al-tawrah: Muhammad al-Saadi, Dar al-Thaqafa, First Edition 1405 AH - 1985 AD.

[46] Al-De'aya al-Suhyounya: Mamdouh Al-Zoubi, Dar Ibn Katheer,

Damascus - Syria, First Edition 1992 AD.

[47] Al-Dawafea' al-Uduanya fi al-nafseya al-Yahoudia: Yusef Muhammad Ibrahim, manshourat itehad al-kutub al-arab, Damascus - Syria 2015.

[48] Al-Dein fi al-karar al-Amirecy: Muhammad Al-Sammak, Dar Al-Nafas - Beirut - Lebanon 2003 AD.

[49] Rabetat al-Defaa' al-yahoudia fi America wa Al-Kayan Al-Suhyouni: A Model for the Global Terrorist Organization: Abd al-Wahhab Muhammad al-Jubouri, magalat Beit al-Hikma, Second Year Issue (9) March 1999 AD.

[50] Risalat al-Tawhid: Imam Muhammad Abdo, Dar al-Kitaab al-Arabi Press, 1966 AD.

[51] Rasa'el Ibn Gereon, David Ben Gereon, translated / Diana Abdel-Hamid, Dar Al-Quds Beirut - Lebanon, 1979 A.D

[52] Zahrat al-Tafseer: Muhammad bin Ahmed bin Mustafa bin Ahmed, known as Abu Zahra (d.1394 AH), Dar al-fikr al-arabi, Cairo.

[53] Sunan Abi Dawood: Abu Dawood Suleiman bin Al-Ash'ath Al-Sijistani, Dar al-kitab al-arabi, Beirut - Lebanon.

[54] Al-serat al-nabouya: Ibn Ishaq, edited by / Mustafa Al-Saqqa and others, Dar ehyaa' al-turath al-arabi, Beirut - Lebanon.

[55] Saytarat Israel Ala al-Welayat al-Mutaheda al-Americiah: Nassar Ghanima, University Studies Institute, Beirut, 1956 AD.

[56] Al-Shakhseyya al-Israelia: Dr. Hassan Zaza, Dar Al-Qalam, Beirut - Lebanon 1985 AD.

[57] Al-Shakhsia al-Yahoudia al-Israelia wa al-roh al-Uduania: Rashad Abdullah Al-Shami, The World of Knowledge Series (102) The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait 1986 AD.

[58] Al-shakhsia al-yahoudia min khilal al-Quran Al-kareem : Dr. Salah Abd Al-Fattah Al-Khalidi, Dar Al-Qalam - Damascus - Syria, First

Edition 1419 AH - 1998 AD.

[59] Sahih Al-Bukhari:Al-Game' Al-Sahih Al-Muktassar min umur Rasoul Allah (sall Allahu allayh was sallam) wa Sunaneh wa Ayyameh : Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin al-Mughairah al-Bukhari Abu Abdullah, edited by / Mustafa Deeb al-Bagha, Dar Ibn Katheer - Al-Yamamah, Beirut II 1407 AH - 1987 AD

[60] Sahih Muslim: Al-Mussnad Al Sahih Al-Muktassar bi naql Al-Adl an Al-Adl ila Rasoul Allah (salla Allau Alayh wa Sallam) - Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaboori (died: 261 A.H.) The editor: Muhammad Fuad Abd Al-Baqi Publisher: Dar ehyaa' al-turath al-arabi - Beirut.

[61] sefat al-tulmud wa al-zuhar fi al-deyana al-yahoudia: Ahmad Susa, Journal of the Center for Palestinian Studies, vol. 3 p. 1, University of Baghdad, 1974

[62] Al-Sahaynah Al-Gudud mohema lam tantahi: Nasser bin Muhammad al-Zamal, First Edition 1427 AH - 2006 AD

[63] Al-Suhyouniah hathar "Derasa suvietia fi tarikh wa tanshem wa Idologyat al-Haraka al-Suhyounyah: Yuri Ivanov, translated / Maher Asal, Dar al-kitab al-arabi, Cairo, 1969.

[64] Al-Suhyouniah al-Unsuria, a group of researchers, Volume 1, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut - Lebanon, 1979 A.D

[65] Al-Suhyouniah wa al-Nazeyyah: Moein Ahmed Mahmoud, Publications of the Commercial Office for Printing and Publishing Beirut - Lebanon 1971.

[66] Al-Suhyouniah wa al-yahoudia fi Al-suhyouniah, Reality and Confrontation, an intellectual symposium held by the Iraqi Scientific Academy from 5-6 / 12/1995 AD, publications of the Office of Intellectual Affairs and Studies of the Palestinian National Liberation Movement (Fatah) Baghdad 1998 AD.

[67] Al-Suhyouniah wa rabibataha, Israel: Omar Rushdie, Dar Al-Qalam

- Beirut, 1985 AD.

[68] Al-Suhyouniah: Mounir Mashouch, Dar Al-Maisara - Beirut - Lebanon 1979 AD.

[69] Al-Akeda Al-Yahoudiah wa khatarha ala al-ensania: Dr. Saad Eddin Saleh, Dar Al-Safa, Second Edition 1411 A.H. - 1990 A.D

[70] Al-elakat al-syasiah wa al-hadaryah bayn al-arab wa al-yahoud fi al-usour al-Islamia al-Kadimah : Ali Husayn al-Kharboutli, Modern Art Press, 1969.

[71] Ilm Al-Igtemaa': Abdel Hamid Lotfi, Dar Al-Nahda al-arabia for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon 1981 AD.

[72] Ilm Al-nafs fi hayatuna al-yaoumiah: Samir Sheikhani, The New Orient Library for Publishing and Distribution - Baghdad, 1984 AD

[73] Al-Unsuriah al-Yahoudiah wa atharaha ala al-mogtamaa' al-Islami, Dr. Ahmed bin Abdullah bin Ibrahim Al-Zughaibi, Al-Obaikan Press, First Edition 1418 AH - 1998 AD.

[74] Fadh al-tulmud, al'ab IB Branites, prepared by / Zuhdi Al-Fatih, Dar Al-Nafaes, Beirut - Lebanon, fourth edition 1991 AD.

[75] Al-fikr al-deni al-Israeli, Atwarouh wa Mathaheboh: Dr. Hassan Zaza, Said Raafat Library, Cairo 1970.

[76] Al-fikrah al-suhyounyah: Al-Nosous Al-Asaseyyah: Supervision / Anis Al-Sayegh, translated / by Lotfi Al-Abed and Musa Anz, Palestine Liberation Organization Research Center, Cairo 1970

[77] Falastine and Al-Aqsa, Al-Wade'ah wal Merath: Khairy Ahmed Makkawi, Islamic Printing and Publishing House Press, Cairo, First Edition, 1417 A.H. - 1996 A.D.

[78] Qamous Al-Kitab Al-Moqaddass: A group of specialized professors from theologians, Al-Mishal Library - Beirut - Lebanon, 6th edition 1981.

[79] Qamous Ilm Al-Ejtema' : Muhammad Atef Ghaith, University Knowledge House, Cairo, 1989.

[80] Katl Akedat Yahouh wa Atbaouh: Mamdouh Al-Zobi, Al-Ahali for printing, publishing and distribution, Damascus - Syria, first edition, 2000 AD.

[81] Keraah Seyseyyah fil Tourah: Shafeeq Makar, Riyadh Al-Rayes for Books and Publishing, London, 1991.

[82] Al-Kashaf an Haqae'k Ghawamed Al-Tanzeel (Tafseer Al-Kashaf) Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar bin Ahmad Al-Zamakhshari Jarallah (538 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi Beirut, third edition 1407 AH

[83] Kanz Al-Ummal fi Sunnan Al-Aqual wa Al-Af'al: Ala Al-Din Ali bin Husam Al-Din bin Al-Muttaki Al-Hindi (died 975 AH) investigation / Bakr Hayani and Safwat Al-Saqqa, Al-Risala Foundation, fifth edition 1401 AH - 1981 AD

[84] Al-Kanz Al-Marsoud fi Qawae'd Al-Talmud: August Rohling, translated / Youssef Hanna Nasrallah, Beirut 1968 AD.

[85] Al-Kanz Al-Marsoud fi Qawae'd Al-Talmud, Dar Al Uloom, Beirut, edition 1987 AD.

[86] Kayf Yufakker Zoa'ma' Al-Suhyouneyyah? Amin Howaidi, Dar Al Maaref, Cairo 1974.

[87] Lisan al-Arab: Muhammad ibn Makram ibn Manzor al-Afriqi al-Misri, I, Dar Sader Beirut.

[88] Lamahat min Tareekh Al-Tatawwourat Al-Ijtema'eyyah fil Gharb wa Dhour Al-Mushkelah Al-Yahoudeyyah wa keyam Israel : Qassem Hassan the Lawyer, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut - Lebanon 1958.

[89] Allah: Abbas Mahmoud Al-Akkad, Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, 2013 AD.

[90] Bayn Mussa wa Ezra, Kayf Nasha't Al Yahoudeyyah? : Dr. Abdul Majeed Hamo, Al Awael for Publishing and Distribution - Damascus - Syria 2003 AD.

[91] Al-Mujtama' Al-Yahoudey: Zaki Shenouda, Al-Khanji Library, Cairo

without.

[92] Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab Al-Azeez (interpretation of Ibn Attia) Abu Muhammad Abd al-Haq ibn Ghalib ibn Abd al-Rahman ibn Tammam ibn Attia al-Andalusi (died. 542 AH) investigation / Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, first edition 1422 AH .

[93] Al-Muhkam wal Muheet Al-A'zam: Abu Al-Hasan Ali bin Ismail bin Sayedeh Al-Mursi, investigation by Abdel Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut - Lebanon, 2000 AD.

[94] Al-Mukhassas: Abu al-Hasan Ali bin Ismail bin Sayedeh al-Mursi, investigation by Khalil Ibrahim Jaffal 4/409, House of Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon, first edition 1417 AH - 1996 AD

[95] Madarek Al-Tanzeel wa Haqae'k Al-Ta'weel (Tafsir Al-Nasafi) Abu Al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud Hafez Al-Din Al-Nasafi (710 AH) His hadiths came out by Yusuf Ali Badawi, reviewed and presented to him / Mohieddin Deeb, Dar Al-Kalam Al-Tayyib, Beirut - Lebanon, edition: 1 ,1416 AH. - 1998 AD.

[96] Al-Muslimoun wal Maseheyoun fil Talmud: Abd al-Azim Ibrahim al-Muta'ni, Wahba Library, Cairo.

[97] Musnad Al- Imam Ahmad bin Hanbal: Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad Al Shaibani (died: 241 AH), edited by: Shuaib Al-Arnaout and others, Al-Risala Foundation, second edition, 1420 AH - 1999 AD.

[98] Mashare' Al-Isteetan Al-Yahoudey munthu qeyam Al-thurah Al-Faraceyyah hatta Nehayat Al-Harb Al-Alameyyah Al-Oula, Dr. Amin Abdullah Mahmoud, The World of Knowledge Series, The National Council for Culture, Arts and Letters - Kuwait 1984 AD.

[99] Al-Mushkelah Al-Yahoudeyyah wa Hall Tahoulha Israel? Min thhour Abraham hatta soqout Yahoutha : Mahmoud Nena’a, Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1972.

[100] Al-Misbah Al-Mouneir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabeer by Al-Rafei / Ahmed Bin Ali Al-Muqari Al-Fayoumi Scientific Library, Beirut - Lebanon.

[101] Mo'jam Al-Oloum Al-Ijtema'eyyah: Frederick Maatouk, review and supervision / Muhammad Debs, Academic International for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon 1998 AD.

[102] Al-Mo'jam Al-Kabeer ll-Tabarani: Suleiman bin Ahmed bin Ayoub Abu Al-Qasim Al-Tabarani (d. 360 AH) investigation / Hamdi Abdul Majeed Al-Salafi, Al-Ulum and Al-Hakam Press, Mosul - Baghdad, second edition 1404 AH - 1983 AD.

[103] Mo'jam Al-Mustalaht Al-Sohyouneeyah: Ebhraim and Menachem Talmi, translated by Ahmed Barakat, Dar Al-Jeel Publishing - Amman 1988.

[104] Al-Mo'jam Al-Wasset: Ibrahim Mustafa, Ahmad Al-Zayyat, Hamed Abdel-Qader, Muhammad Al-Najjar - investigation by the Arabic Language Academy, Bab Al-Ain, Dar Al-Da`wah and "Al Mo'jam Al-Wajeez": Prepared by the Arabic Language Complex, the Arab Center for Culture, Science, Printing, Publishing and Distribution without - Lebanon.

[105] Mo'jam Maqayees Al-Lughah: Abu Al-Hussein Ahmed bin Faris bin Zakaria, investigation by Abdel Salam Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.

[106] Ma'rakat Al-Wogoud bayn Al-Qur'an wal-Tolmoud: Dr. Abdul Sattar Fathallah Saeed, Islamic Printing and Publishing House, 3rd Edition 1450 AH.

[107] Mafatih Al-Ghayb (Al-Tafseer Al-Kabeer), Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Tamimi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi (606 AH), Dar Al-Turath Al-Arabi, Beirut - Lebanon, third edition, 1420 AH.

[108] Mafaheem fil Falsafati wal Ijtema': Ahmed Khurshid Al-Noura, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1990 AD.

[109] Mukaranat Al-Adyan Al-Yahoudeyyah: Dr. Ahmed Shalaby, Nahdet Misr Library for Printing and Publishing, Cairo, Fifth Edition, 1978 AD.

[110] Al-millal Al-Moasserah fil Dean Al-Yahoudey: Ismail Raji Al-Farouqi, Al-Jablawi Press 1968AD

[111] Mamlakat Dawoud wa Soliman Al-Ibreyyah Awham la Nehayata Laha, Hebrew, endless illusions: Ahmed Ezzat Selim, The General Authority for Cultural Palaces, Cairo, 2013 AD.

[112] Mawsouat Al-Seyassah: Abd al-Wahhab al-Kayyali, The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut - Lebanon 1979.

[113] Mawsouat Al-Mawrid: Munir Baalbaki, Dar Al-Ilm for Millions - Beirut - Lebanon, 1981 AD.

[114] Mawsouat Al-Yahoud wal Yahoudeyyah wal Sohyouneyyah: Dr. Abdel-Wahhab El-Mesiri, Dar Al-Shorouk, Cairo, 1999.

[115] Mawasouat Ilm Al-Nafs Wal-Tahleel Al-Nafsi: Dr. Abdel Moneim Al-Hanafi, Madbouly Library, Cairo, 1975 AD.

[116] Nahn wal Yhoud: Kazem Muhammad Al-Naqib, Dar Al-Moheet for Publications, Baghdad, 1967 AD.

[117] Nehayat Al-Tareekh: Derasah fi Benayat Al-Fikr Al-Yahoudi: Dr. Abdel Wahab El-Mesiri, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut - Lebanon 1979.

[118] Al-Nehayah fi Ghareeb Al-Hadith wal Athar: Abu Al-Saadat Al-Mubarak Ibn Muhammad Al-Jazari, investigative/ Taher Al-Zawi, Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, Scientific Library, Beirut - Lebanon, ed 1399 AH - 1979 AD.

[119] Nietzsche: Dr. Abdel Rahman Badawy, The Philosophers Series (1), The Egyptian Renaissance Library, Cairo 1956.

[120] Nietzsche: Dr. Fouad Zakaria, Series of Brilliant Western Thought (1), Dar Al Maaref, Cairo, second edition, 1966 AD.

[121] Hal ll Yahoud Haq Tarekhey fi Felastein? : Youssef Ayoub Al-

Haddad, a statement for publication and distribution, Beirut - Lebanon without.

[122] Hamageyyat Al-Ta'leem Al-Sohyounah: Paul Hanna Massad, Islamic Office Publications, Beirut, 1969.

[123] Wathae'k Asaseyyah fi Al-Sera' Al-Arabi Al-Sohyouni: Collection and Preparation / Samir Ayoub, Hamed House for Printing, Publishing and Distribution - Beirut - Lebanon, 1984 AD.

[124] Al-Wa'd Al-Thani Li-Bani Israel, Jalal Abdul Fattah, House of Scientific Culture, Cairo 2003 AD

[125] Al-Yahoud: Dr. Sayed bin Hussein Al-Afani, Volume 1, Moaz bin Jabal Library, Cairo, First Edition 1423 AH - 2002 AD.

[126] Al-Yahoud fi Tareakh Al-Hadarat Al-Oula: Gustave Le Bon, translated / Adel Zuaiter, ed by the Arab Press Agency in Cairo 2018.

[127] Al-Yahoud wal Tahalof ma' Al-Aqweyya': Noman Abdel Razek Al-Samarrai, Dar Al-Hikma for Printing, Publishing and Distribution - London 1999.

[128] Al-Yahoudeyy Al-Alami, Al-Mamlakah Al-Yahoudeyyah, Roayah Amerikeyyah: Henry Ford, translated / Badr Al-Rifai, Al-Shorouk International Library, Cairo, 1st Edition, 2003 AD.

[129] Al-Yahoud wal Yahoudeyyah Al-Masseheyyah: Dr. Fouad Hassanein, Cairo, edition: 1998 AD.

[130] Yawmeyyat Manahem Begin: Manahiin Begin, translation / Moin Ahmed, Dar Al Masirah, Beirut - Lebanon 1978.